جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

# بشائر الأفراح
# في لطائف سورة الانشراح

إعداد

**الدكتور/ محمد عبد المنعم إبراهيم محمد الصبحى**

الأستاذ المساعد في التفسير وعلوم القرآن

في كلية أصول الدين والدعوة في أسيوط

**العدد التاسع عشر**
**للعام ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م**
**الجزء الخامس**
**رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٥م**
**الترقيم الدولى ISSN 2356-9050**

بسم الله الرحمن الرحيم

**الحمد لله الكبير المتعال العفو الكريم المنان الذي أنعم علينا بنعمة عظمى لا يدانيها أي نعمة ولا يفاضلها أي شيء ألا وهي نعمة القرآن الكريم إذ بها أخرج الله الأمة من ظلمات وحيرة إلي نور وهداية ومن عسر وفقر إلي يسر وغني ومن ضيق وكآبة إلي فرج وسرور ثم الصلاة والسلام علي نبينا محمد المرسل رحمةً للعالمين ونصرًة للمظلومين وهدايةً للمتبصرين وعلي آله وصحبه الفاهمين لمعاني كلام رب العالمين .**

**وبعد...**

**فإن أفضل ما رغب فيه الراغب وتعلق به قلب الطالب هو كتاب الله تعالى ومدارسته والكشف عن دُرره والبحث عن معانيه ومقاصده والتدبر في سوره وآياته والبيان للطائف سوره ولعمر الله إن الناظر لسور القرآن والدراس لها ليجد أن لكل سورة لطائف لا تُحصي ولا تُعد ويعاين من الفوائد مالا يحصر. لم لا ؟ والقرآن لا يزال بكراً إلي يوم الدين لا تنقضي عجائبه ولا تنضب دُرره ولا تنتهي فوائده فهو لا ريب مناط التبشير بكل الرحمات ومهبط الفرح والسرور لمن آمن وعمل صالحاً لاسيما رسول الإنسانية جمعاء سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلي من والاه فلقد جاءت سورة ألم نشرح درة في ذاك المقام حوت آيات تدر ببشارات وتنطوي علي بركات كلها تعني صاحب الشفاعة والمكرمة نبينا محمد – ﷺ – فضلاً علي ذلك جاءت السورة في أسلوب غاية في الإحكام وقمة في البلاغة العالية السامقة ولما في السورة من درر ولطائف ذات صبغة تفسيرية وبلاغية وأسلوبية ليس كل هذا فحسب بل وأسرار تعبير وجمال لمفرداتها، وجمال أخاذ أيضاً لدلالات معاني حروفها وروعة لضمائرها تأخذ باللب والجنان وتهتز لبيانها الألسن قبل الأركان فدعاني فؤادي للتجول في روضة لطائف هذه السورة الفيحاء وبستانها المخضر كي أقتطف ما تروق بسماعه الآذان، من لطائف للسورة الكريمة التي لا تكاد ترى لكل أحد إلا بأحد شيئين: علم عميق، أو تأمل دقيق، أو بكليهما فطرقت هذا الباب ببحث سميته:**

## " بشائر الأفراح في لطائف سورة الانشراح"

وقد كانت خطة هذا البحث مكونة من عدة مطالب هي:

**المطلب الأول**: لطائف نزولها وفيه الحديث عن لطائف اسمها، ومحل نزولها وعدد آياتها، وسبب نزولها، وإحكامها ومناسباتها لما قبلها، وما بعدها، وفضائلها، ومقصودها ومحورها، وقد كان مجموع هذه اللطائف ثمان .

**المطلب الثاني**: لطائف قول الله – تعالي-: { أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ } [سورة ألم نشرح:١] وقد أثمر هذا المطلب إ حد ي عشرة لطيفة

**المطلب الثالث**: وجاء تحت عنوان اللطائف الواردة في قول الله تعالي: { وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ } [سورة ألم نشرح: ٢]وقد أثمر هذا المطلب سبع لطائف .

**المطلب الرابع**: اللطائف الواردة في قول الحق –تعالي-: { الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ} [سورة ألم نشرح: ٣]وقد نتج عن هذا المطلب لطيفتان.

**المطلب الخامس**:_اللطائف الواردة في قول الله – تعالي-: { وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ } [سورة ألم نشرح: ٤]وقد نتج عن هذا المطلب خمس لطائف .

**المطلب السادس**: اللطائف الواردة في قول الله الحق –ﷻ-: { فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا} [سورة ألم نشرح:٥] وقد نتج عن هذا المطلب أربع لطائف.

**المطلب السابع**: لطائف قول الله – تعالي-: { إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا } [سورة ألم نشرح: ٦] وقد أثمر هذا المطلب ثلاث لطائف .

**المطلب الثامن**: لطائف قول الله – تعالي-: { فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ} [سورة ألم نشرح: ٧] وقد نتج عن هذا المطلب أربع لطائف .

**المطلب التاسع والأخير**:_اللطائف الواردة في قول الله – تعالي –: {وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ } [سورة ألم نشرح:٨] وقد أثمر هذا المطلب خمس لطائف.

وأخيراً الخاتمة وضمنتها أهم نتائج هذا البحث وذيلتها بفهرس المصادر والمراجع لهذا البحث والله أسال العون والتوفيق إنه نعم المولي ونعم النصير .

**الباحث**

## المطلب الأول
## لطائف نزولها

**بادي ذي بدء وقبل أن ندير رحي الكلام عن لطائف نزول السورة كان لزاماً علينا أن نطل بإطلالة علي معني اللطائف في اللغة ومفهومها في الاصطلاح فنقول :**

**أولاً: في اللغة : الناظر في كلام العرب يري أن اللطائف جمع. مفردها لطيفة ويدور معني اللطيفة في كلام أهل العربية علي الخفاء والرقة[١] فالمعنيان مردان في اللطائف وتكون تسميتها باللطائف لما فيها من الخفاء الذي لا يدرك إلا بإمعان نظر أو للترقق في الوصول إلي اللطيفة أو بالأمرين كليهما كما سلف القول في ذلك**

**ثانياً: في الاصطلاح :**

**أما مفهوم اللطيفة عند أهل العلم فمتعدد ومتغاير فيري الجرجاني أن اللطيفة هي: كل إشارة دقيقة المعنى، تلوح للفهم، لا تسعها العبارة[٢] بينما يري بعض الباحثين أن مفهوم اللطيفة هو كل شيء في التفسير من الاستنباطات من الآيات القرآنية والنكات البلاغية والأسلوبية وإيراد الإشكالات علي تفسير الآيات والرد عليها، وتشمل أيضاً ترتيب وروابط السور والآيات القرآنية كما قال الفخر الرازي[٣] ويري بعض الباحثين أنه لا ضير من ضم الظاهر من تفسير آيات سور القرآن إلي اللطائف خاصة إذا قام الباحث بدراسة لطائف سورة معينة كسورة الكوثر وغيرها من السور القرآنية [٤].**

---

(١) راجع: مختار الصحاح للإمام محمد بن أبي بكر الرازي، ص ٢٤٩، مادة "ل ط ف"، ط: مكتبة لبنان، والمعجم الوسيط، تأليف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة: ٨٢٦/٢، مادة "ل ط ف"، ط: دار الدعوة .

(٢) التعريفات للجرجاني، ص٢٤٦، ط: عالم الكتب، بيروت، ط: الأولي ١٤٠٧هـ.

(٣) راجع: مقال للدكتور/ مساعد الطيار عن " ملح التفسير ولطائفه " بتصرف يسير، علي موقع الدكتور/ مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، علي الشبكة العنكبوتية (النت)، وراجع كلام الفخر الرازي في أن أكثر لطائف القرآن في ترتيب وروابط الآيات والسور في ص من البحث .

(٤) راجع: بحث الدكتور/ مصطفي أحمد سليمان علي بعنوان: " القول الميسر في لطائف سورة الكوثر "، ص ٤١٢٨ وما بعدها، بحث منشور في مجلة كلية أصول الدين بأسيوط، العدد الثامن والعشرون لسنة ٢٠١٠م .

**والذي نميل إليه** : أنه لا مانع من التوسع في مفهوم اللطيفة في التفسير فتشمل ما خفي من العبارة ودق فهمه من تفسير الآيات وتشمل أيضاً النكات البلاغية والأسلوبية مثل أسرار التعبير وغير ذلك وترتيب الآيات القرآنية ومناسباتها القيمة الدالة علي إعجاز القرآن وضم الظاهر من تفسير الآيات والسور وما يمت لهما بصلة لاسيما إذا كانت الدراسة قائمة علي التقاط لطائف لسورة معينة من سور القرآن كما في دراستنا هذه للطائف سورة الانشراح وجعلها في صورة بحث مستقل أو منهج تفسيري منفصل عن التفسير التحليلي أو المقارن أو الإجمالي للسورة فإنَّ ذلك أكثر نفعاً للدارسين وأعم فائدةً لهم ولغيرهم ممن سلك طريقاً للعلم لاسيما في هذا العصر وكذا إبراز لنوع قيم من علم التفسير طالما أشار إليه المفسرون كالفخر الرازي وغيره وفي ذلك إثراء للدراسات القرآنية .

وبعد هذه الإطلالة الكاشفة لمعني اللطيفة في اللغة والاصطلاح نعرج الآن علي بيان شافي للطائف نزول السورة وتوضيحها في الآتي :

**اللطيفة الأولي: في اسم السورة:**

من المقرر عند أهل العلم أن تعدد الأسماء دليل علي شرف المسمى وعلو مكانته، والسورة التي معنا كذلك، فلقد جاء اسمها عند معظم المفسرين عليهم سحائب الرحمة والرضوان وإمام أهل الهدي البخاري وشيخ أهل الحديث الإمام الترمذي بسورة "ألم نشرح"(١)، وجاء عند بعض المفسرين تسميتها بسورة "الشرح" كالطبري(٢) والثعلبي(٣) والبقاعي(٤)،

---

(١) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» للشيخ محمد الطاهر بن محمد بن عاشور: ٤٠٧/٣٠، الناشر: الدار التونسية للنشر، تونس١٩٨٤هـ .

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن للإمام أبي جعفر الطبري: ٤٩٣/٢٤، تح: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: الأولى ١٤٢٠هـ٢٠٠٠م .

(٣) الكشف والبيان عن تفسير القرآن للإمام أبي إسحاق الثعلبي: ٢٣٢/١٠، تح: الإمام أبي محمد بن عاشور، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط: الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م .

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام إبراهيم بن عمر البقاعي: ١١٩/٢٢، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة .

وهي بذاك الاسم في بعض المصاحف المشرقية[١]، وذكر بعض المفسرين كابن الجوزي[٢] والإيجي[٣] أن اسمها سورة الانشراح، وهو مصدر الفعل انشرح، فأما تسميتها بألم نشرح فذلك لتصديرها بقول الحق: { أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ } [٤]، وأما تسميتها بسورة الشرح والانشراح فلأن القارئ لها الذي ألم به الكرب وضيق الصدر إذا قرأها موقناً بفرج ربه طامعاً في يسره راجياً رحمته يُشرح صدره وينشرح قلبه وتسكن نفسه من القلق والحيرة ببركة تلك السورة الكريمة ويرزقه الله السكينة والطمأنينة، وورد في بعض المصاحف تسميتها بسورة اليسر وذلك لورود اليسر فيها[٥].

**اللطيفة الثانية: في محل نزولها وعدد آياتها:**

أجمع أهل التفسير قاطبة علي أن محل نزول سورة ألم نشرح كاملة في مكة المكرمة[٦] بل هي ممن تقدم نزولها بمكة كما قرر الإمام الزهري[٧] وابن الضُّريس[٨] ولم يشذ عن ذلك الإجماع سوى البقاعي والقاسمي أنهما

---

(١) التحرير والتنوير: ٤٠٧/٣٠ .

(٢) زاد المسير في علم التفسير للإمام ابن الجوزي: ٤٦٠/٤، تح: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط: الأولى ١٤٢٢هـ .

(٣) جامع البيان في تفسير القرآن للإمام محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الإيجي الشافعيّ: ٥٠٦/٤، دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى١٤٢٤هـ.

(٤) التحرير والتنوير: ٣٠/ ٤٠٧

(٥) راجع: أسماء سور القرآن وفضائلها للدكتورة/ منيرة محمد ناصر الدوسري، ص٥٦٢، ط: دار ابن الجوزي، ط:الأولي ١٤٢٦هـ.

(٦) راجع: الكشف والبيان: ٢٣٢/١٠، والوسيط في تفسير القرآن للواحدي: ٥١٥/٤، تح: الشيخ/ أحمد عبد الجواد وآخرين، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، وزاد المسير: ٤٦٠/٤، والبرهان في علوم القرآن للزركشي: ١/ ١٩٣، تح: محمد أبي الفضل إبراهيم، ط: دار المعرفة، بيروت ١٣٩١هـ.

(٧) راجع: الناسخ والمنسوخ وتنزيل القرآن بمكة والمدينة لابن شهاب الزهري، ص ٢٩، تح: د/ حاتم صالح الضامن، الناشر: عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ط: الأولى ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.

(٨) طالع: فضائل القرآن وما نزل من القرآن بمكة وما نزل بالمدينة لأبي عبدالله محمد بن أيوب بن الضُّريس البجلي، ص ٣٣، تح: عروة بدير، ط: دار الفكر، دمشق، سورية، ط: الأولي ١٤٠٨هـ١٩٨٧م .

قالا بمدنية السورة[١] وكفي بمخالفتهما لإجماع أهل التفسير من سقوط لقولهما وعدم الاعتداد به وكذلك لا عبرة بقول بعض مفسري الشيعة إنها سورة مكية أو مدنية[٢] فهذا القول ساقط الاعتبار خال من البرهان فلا تخيير أو تنوع في نزولها بل القول الأوحد أنها نزلت بمكة[٣]

أما عدد آياتها فثمان آيات بلا اختلاف .

قال العلامة أبو عمر الداني: " سُورَة ألم نشرح مَكِّيَّة ... والتين وَلم يكن وَإِذا زلزلت وألهاكم ... وكلمها سبع وَعِشْرُونَ كلمة وحروفها مئة وَثَلَاثَة أحرف وَهِي ثَمَانِي آيَات فِي جَمِيع الْعدَد لَيْسَ فِيهَا اخْتِلَاف " [٤].

**اللطيفة الثالثة: في سبب نزول السورة:**

لا يوجد حديث أو أثر صحيح أو ضعيف في سبب نزول لهذه السورة فيما تسني لي من مصادر أو مراجع في علم أسباب النزول أو كتب التفسير اللهم إلا ما أورده السيوطي أن قوله – تعالي –: { إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا } [ألم نشرح: ٦] نزلت لما عير المشركون المسلمين بالفقر ثم قال السيوطي أخرج ابن جرير عن الحسن قال: لما نزلت هذه الآية: { إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا} قال رسول الله – ﷺ –: " أبشروا أتاكم اليسر لن يغلب عسر يسرين"[٥] قلت: هذا ليس سبب في نزول السورة ولا سبب نزول الآية الآنفة إنما قال الحسن: لما نزلت { إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا } قال رسول الله: لن يغلب عسر يسرين، وفضلاً أن رواية الحسن البصري مرسله إلي النبي –

---

(١) نظم الدرر: ١١٩/٢٢، ومحاسن التأويل للإمام جمال الدين القاسمي: ٤٩٤/٩، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى ١٤١٨هـ.

(٢) الميزان في تفسير القرآن لمحمد حسين الطباطبائي: ٢٠/ ٣٥٨، ط: منشورات مؤسسة الأعلي للمطبوعات، بيروت، لبنان.

(٣) طالع: روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني للعلامة شهاب الدين الآلوسي: ٣٨٥/١٥، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: الأولي ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.

(٤) البيان في عدّ آي القرآن للإمام أبي عمرو الداني، ص ٢٧٨، ٢٧٩، تح: غانم قدوري الحمد، الناشر: مركز المخطوطات والتراث، الكويت، ط: الأولى ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

(٥) لباب النقول في أسباب النزول للإمام جلال الدين السيوطي، ص ٢١٣، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، وراجع: رواية الحسن البصري في تفسير الطبري: ٤٩٥/٢٤.

ﷺ – ومراسيل الحسن غير مقبولة عند المحدثين[1] فهو بذاك سبب ضعيف غير مقبول فتدبر .

**اللطيفة الرابعة: في إحكام السورة:**

هذه السورة الكريمة من السور المحكمة التي لا ناسخ فيها ولا منسوخ قال ابن سلامة المقري: "سورة ألم نشرح نزلت بمكة وليس فيها ناسخ ولا منسوخ" [2]. قلت: السورة كلها منح وعطايا ربانية لنبيه –ﷺ– من شرح لصدره ووضع لوزره ورفع لذكره وتبشير بتيسير أمره بعد المحن والشدائد التي عاينها في إبان نزول السورة بمكة فكيف يقع ناسخ فيها ويوجد منسوخ ؟ وفضلاً علي ذلك أن العمدة في باب النسخ علي السماع ولم يرد أثر صحيح أبداً في ذاك الشأن[3]، فتأمل أيها القارئ نفع الله بك.

**اللطيفة الخامسة: في مناسبة السورة لما قبلها:**

من المعلوم أن القرآن الكريم سوره كلها تتلاقي وتترابط بنسيج محكم بديع ليس فيه خلل ولا تنافر مع أن القرآن لم ينزل دفعة واحدة على رسول الله – ﷺ –، بل نزل نجوماً وآحاداً، على حسب الوقائع والأحوال، في أكثر من عشرين سنة، إلا أنه كان محكم السرد، دقيق السبك، متين الأسلوب، قوي الاتصال، آخذ بعضه بأعناق بعض، في سوره فهذا سر عظيم من أسرار إعجازه وعلي هذا فسورة ألم نشرح لا تنفصل عن هذا السبك

---

(١) المرسل: عَلَمٌ على ما سَقَط ذكرُ الصحابي من إسناده، فيقول التابعيُّ: قال رسول الله – ﷺ – وهي أنواع ومن أوهى المراسيل عندهم: مراسيلُ الحَسَن. وغالبُ المحقّقين يَعُدُّون مراسيلَ هؤلاء منقطِعات والمنقطع ضعيف ولذا مرسل الحسن ضعيف غير مقبول بالمرة. [ راجع: الموقظة في علم مصطلح الحديث، تأليف: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، ص٣٨ –٤٠ بتصرف وتلخيص، تح: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط: الأولى ١٤٠٥هـ ] .

(٢) الناسخ والمنسوخ للإمام هبة الله بن سلامة بن نصر المقري، ص ٢٠٠، تح: زهير الشاويش، ومحمد كنعان، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، ط: الأولى ١٤٠٤هـ، وراجع: الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم لابن حزم، ص ٦٦، تح: د/ عبد الغفار سليمان البنداري، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولي ١٤٠٦هـ .

(٣) راجع: مباحث في علوم القرآن للدكتور/ صبحي الصالح، ص٢٧٢، ٢٧٣، ط: دار للعلم للملايين، ط:السابعة عشرة ١٩٨٨م .

القرآني المحكم؛ لذا فالمناسبة هنا بين سورتي الضحى وسورة ألم نشرح واضحة أوضح من الشمس في رائعة النهار[1] فالسورتان وثيقتا الصلة ببعضهما فالصلة بينهما تكاملية لاتحادهما في الغرض والموضوع أو الصلة بينهما تفصيل لإجمال وتفصيل ذلك في الآتي:

١- ذهب ابن عجيبة إلي أن سورة ألم نشرح هي تتميم وتكميل لسورة الضحى في تعداد النعم علي النبي - ﷺ - فهما كالسورة الواحدة وعبارته: "وهي تتميم لما قبلها في تعداد النعم فهي كالسورة الواحدة فقوله تعالي: { أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى } [الضحى: ٦] إلي قوله: {وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ } [الشرح: ٤] كله تعديد النعم عليه فيما مضي، وتقوية لرجائه و تسلية له عن أذي الكفار ولذا ختمها الله -ﷻ -: {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا } [الشرح: ٥]... إلخ" [2].

٢- ذكر بعض أهل التفسير أن نهاية سورة الضحى فيها { وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ} [الضحى: ١١] وذلك أمر مجمل فجاءت سورة الشرح {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ} [الشرح: ١] تفصيل لإجمال الأمر بالتحدث بالنعمة وهي شرح الصدر، ووضع الوزر ورفع الذكر من أعظم النعم وتيسير العسر فالسورتان متناسبتان في الموضوع والهدف في بيان فضل النبي - ﷺ - [3] .

---

(١) من شدة الصلة بينهما روي عن بعض السلف وهو عمر بن عبد العزيز وطاووس أنهما كانا يعدانها سورة واحدة وكانا يقرأنهما في الركعة الواحدة بدون بسملة، والتحقيق أنهما وإن كان بينهما تناسب قوي إلا أنهما سورتان فصل بينهما بالبسملة كما هو في المصحف الذي أجمعت عليه الأمة ثم بينهما تباين لا يخفي علي أحد. راجع: اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الدمشقي: ٣٣٩/٢٠، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .

(٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد للإمام أبي العباس أحمد بن محمد ابن عجيبة: ٣٢١/٨، تح: عمر أحمد الراوي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، وراجع: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، تأليف: الشيخ محمد الامين بن عبد الله الأرمي الهرري: ١٠٦/٣٢، ط: دار طوق النجاة، بدون ذكر الطبعة ورقمها .

(٣) راجع: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي: ٤٦٠/٨، وجواهر البيان في تناسب سور القرآن لأبي الفضل عبد الله محمد صديق الغماري، ص ٩٩، ١٠٠

**اللطيفة السادسة: في مناسبتها لما بعدها:**

أما مناسبة سورة الشرح لسورة التين التي أعقبتها في ترتيب المصحف فهي لما امتن الله علي نبيه في سورة الشرح بخصال شرفه بها من شرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر فتناسب أن يشرف بلده الذي نشأ فيه فأقسم به تشريفاً له فقال الله: { وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ } [التين: ١ – ٣] أي مكة فنبي شرفه الله وشرف مسكنه فما أجمل المناسبة، وأروعها بين السورتين![١]

وهناك مناسبة أخري بين السورتين هي لَمَّا ذَكَرَ فِيمَا قَبْلَهَا من سورة الشرح مَنْ كَمَّلَهُ اللَّهُ خَلْقًا وَخُلُقًا وَفَضَّلَهُ عَلَى سَائِرِ الْعَالَمِ، ذَكَرَ هُنَا في سورة التين حَالَةَ مَنْ يُعَادِيهِ، وَأَنَّهُ يَرُدُّهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فحسن الترابط بين السورتين وأحكم التناسب بينهما وبان روعة القرآن[٢].

**اللطيفة السابعة: في فضائلها:**

لقد سطرت بعض كتب التفسير حديثين في فضل هذه السورة ولكن ما ورد في فضلها فهو في دائرة الوضع أو الضعف الشديد أما الحديث الأول فهوما رواه الثعلبي والواحدي عن أبي بن كعب مرفوعاً: " من قرأ سورة ألم نشرح أعطي من الأجر كمن لقي محمداً – ﷺ – مغتماً ففرج عنه "[٣]، وهذا الحديث كشف كذبه علي رسول الله – ﷺ – وأنه موضوع الإمام ابن الجوزي فقال: " قد فرق هذا الحديث أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره فذكر عند كل سورة منه ما يخصها وتبعه أبو الحسن الواحدي في ذلك ولا أعجب منهما لأنهما ليسا من أصحاب الحديث، وإنما عجبت من أبى بكر بن أبى

---

بتصرف، ط: مكتبة القاهرة، ط:الثانية ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م، ومباحث في التفسير الموضوعي للدكتور/ مصطفى مسلم، ص ٨٣، ط: دار القلم، ط: الرابعة ١٤٢٦هـ .

(١) راجع: جواهر البيان في تناسب سور القرآن، ص ١٠٠ .

(٢) البحر المحيط في التفسير للإمام أبي حيان الأندلسي: ٥٠٢/١٠، تح: صدقي محمد جميل، ط: دار الفكر، بيروت ١٤٢٠ هـ .

(٣) الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٢٣٢/١٠، الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي: ٥١٥/٧ .

**داود كيف فرقه على كتابه الذي صنفه في فضائل القرآن وهو يعلم أنه حديث كذب محال ... فحديث فضائل السور مصنوع بلا شك " [١].**

**وحكم الإمام زين الدين المناوي عليه بأنه موضوع وفند سنده ووسمه بالسقوط[٢].**

**أما الحديث الثاني فقد أورده الفيروز آبادي عن النبي- ﷺ - بلفظ قال: " يا عليُّ مَنْ قرأَها فكأَنَّما أَشبع فقراءَ أُمَّتي، وله بكلّ آية قرأَها حُلَّةٌ يومَ الحَشْر " [٣] وقد نبه الفيروز آبادي عليه فقال: ضعيف[٤] .**

**قلت ذلك الحديث طافح بالوضع في متنه فتكثير الثواب علي العمل القليل من علامات الوضع في المتن ثم ألفاظه الركيكة مما نجزم أنها لم تصدر عن النبي- ﷺ - الذي هو سيد البلغاء والفصحاء وهو من وضع الرافضة أقرب وما أكثر وضع الرافضة علي الإمام علي وهو منهم براء[٥]، وغاية القول الأحاديث الواردة في فضل سورة ألم نشرح كلها من ذاك الباب ولم يرد حديث صحيح أو حسن في هذا الشأن .**

**غاية ما جاء في فضلها أقوال منقولة عن العلماء كما فعل ابن الجوزي حيث قال: "حكي عن العتبى[٦] قال: كنت ذات ليلة في البادية بحالة من الغَمِّ، فأُلْقِيَ في رُوعِي بيت من الشعر ، فقلت:**

---

(١) الموضوعات في الأحاديث المرفوعات للإمام ابن الجوزي: ١/٣٩١، ٣٩٢، تح: د/ نور الدين بن شكري علي، ط:أضواء السلف، ط:الاولى ١٤١٨هـ ١٩٩٧م .

(٢) الفتح السماوي بتخريج أحاديث تفسير القاضي البيضاوي لزين الدين عبدالرؤوف المناوي:١/٤٥٢ – ٤٥٥، ٣/١١٠٧، تح: أحمد محبتي بن نذير السلفي، ط: دار العاصمة، الرياض، ط: الأولي ١٤٠٩هـ .

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للإمام مجد الدين أبو طاهر محمد ابن يعقوب الفيروزآبادى: ١/ ٥٢٦، تح: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة .

(٤) المرجع نفسه .

(٥) ينظر: المنار المنيف في الصحيح والضعيف للإمام ابن القيم الجوزية، ص ٣٨ وما بعدها، تح: عبد الرحمن بن يحيي المعلمي، ط: دار العاصمة، الرياض، ط:الأولي ١٤١٦هـ .

(٦) العُتْبي: هو محمد بن أحمد بن عبد العزيز، الشيخ الإمام الحبر الأموي القرطبي الأندلسي المالكي، مصنف العتبية في فقه مالك والمستخرجة على الموطأ. توفي سنة

أرى المـــوت لمـــن أصـــبح ∴ مَغْمُومـــاً لَـــهُ أَرْوَحْ

**فلما أن جن الليل سمعت هاتفا يهتف من الهواء :**

ألا يـــا أيّهـــا المـــرء الـــذ ∴ ي الهـــمُّ بِـــه بَـــرَّحْ

وقـــد أنشـــد بيتـــاً لم ∴ يـــزل في فكـــره يســـنح

إذا اشـــتَدَّ بـــك العُسْـــرُ ∴ ففَكِّـــر في «أَلَـــمْ نَشْـــرَحْ»

فَعُسْـــرٌ بَـــيْنَ يُسْـــرَيْنِ ∴ إذا أَبْصَـــرْتَهُ فَـــافْرَحْ

**قال: فحفظت الأبيات وفرّج الله غمّي(١).**

**قلت: هذا من باب الاستنباط وحسب قوة إيمان العبد وشدة رجائه بربه وثقته بفرجه فما من عسر إلا ويعقبه يسر كما فعل الله مع رسوله حيث فرج كربه ونصره علي أعدائه ولنا فيه القدوة الحسنة وفضل الله واسع وكتاب الله وآياته فيها الخير والبركة وفك الكرب وصدق الله: { وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ } [الأنعام: ١٥٥]ومن بركته فك كرب من أخلص لله وأيقن بالفرج واتبع هدي النبي – ﷺ – .**

**وخلاصة القول: لم يرد عن المعصوم شيء صحيح أو حسن – حسب علمي – في فضل هذه السورة غاية ما ذ كر أنه من باب الاستنباط والاجتهاد وعموم بركات كتاب الله العظيم والله ذو الفضل الكبير والله أعلم.**

**اللطيفة الثامنة: في مقصودها ومحورها:**

**إنها سورة من السور المكية. وأنت أيها القارئ اللبيب تعرف ما أمر الدعوة المحمدية في مكة؟إنها سنوات كلها إعراض من قومه عن الاستماع لقرآنه، وصد لغيرهم عن الإصغاء له، واضطهاد وتعذيب لتلك الفئة القليلة التي آمنت به، ثم مقاطعة له ولعشيرته ومحاصرتهم مدة غير يسيرة في شعب من شعاب مكة، ثم مؤامرات سرية أو علنية على قتله أو نفيه(٢).**

---

٢٥٤هـ . راجع: ديوان الإسلام للإمام شمس الدين الغزي:٣/٣٢٣، تح: سيد كسروي حسن، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان، ط: الأولى١٤١١هـ ١٩٩٠م.

(١) زاد المسير: ٤/٤٦١، والوسيط للواحدي: ٤/٥١٩، ٥٢٠ .

(٢) راجع: النبأ العظيم للعلامة محمد عبد الله دراز، ص ١٩٤ بتصرف يسير، الناشر: دار القلم للنشر والتوزيع١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م .

**وفي ظلال هذه الأجواء الصعبة تنزل سورة ألم نشرح علي النبي- ﷺ - ومقصودها الأعظم ومحورها الأبين هو شخصية الرسول فترطب من جفاف الشدائد وآلام المحن التي عاشها آنذاك بأسلوب يكسوه العطف الندي وتتخلله مظاهر العناية به - ﷺ - من شرح لصدر ووضع لوزر واستعراض لمواقع الرعاية به من رفع لذكر وعلو لشأن وبشري باليسر والفرج فالسورة تزكية وترضية لسيد الرسل في وقت عصيب ثم ختمت السورة بلون جميل من ألوان الاهتمام به - ﷺ - وهي أن دوام المنن والمنح سبيلها التجرد لله بالشكر والحمد والرغبة اليه ليهبه العطايا والنعم فما أجملها من سورة محورها تكريم الحبيب لحبيبه ومصطفاه! والله أعلم[1].**

(١) ينظر :مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّوَرِ للإمام البقاعي: ٢٠٧/٣، ط: مكتبة المعارف، الرياض، ط: الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م، والتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للدكتور/ وهبة الز حيلي: ٢٩١/٢٩ بتصرف كبير، ط: دار الفكر، دمشق، سورية، ودار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان.

## المطلب الثاني

## لطائف قول الله -تعالي-: { أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ}

## [سورة ألم نشرح:١]

**اللطيفة الأولي: التأصيل للاستفهام ومقصده في الآية:**

لا ريب أن التنزيل الحكيم سوره مغدقة باللطائف مليئة بالفوائد ومن سوره سورة الشرح فنسبح في بحر لطائفها فتتأتى أمواج من اللطائف والفوائد لأولي آياتها فنبدأ باللطيفة الأولي وهى الاستفهام من قوله: { أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ } وقبل أن ندير رحى الكلام عن الاستفهام وجميل أثره في الآية لابد أن نطل هنا بإطلالة موجزة عن معني الاستفهام لغوياً ونكشف عن معناه من حيث الاصطلاح فنقول:

**أولاً: بيان معناه لغوياً:**

إن الناظر والمتصفح لمعاجم أهل اللغة يجد أن كلمة الاستفهام تدور في فلك طلب الكشف عن الشيء فلقد جاء في المعجم الوسيط:"استفهمه: سَأَلَهُ أَن يفهمهُ وَيُقَال:استفهم من فلَان عَن الْأَمر:طلب مِنْهُ أَن يكْشف عَنهُ"(١) .

**ثانياً: بيان معناه في الاصطلاح:**

أما معناه من حيث الاصطلاح فهو: طلب العلم بشيء بأدوات معروفة، وأدواته، وألفاظه الموضوعة له هي: الهمزة، وهل، وما، ومن، وأي، وكيف، وغير ذلك(٢) .

والأصل في الاستفهام أن يكون ممن يجهل المستفهم عنه ويريد من المخاطب إعلامه به، ويسمى الاستفهام الحقيقي، وهذا لا يجوز في حق الله – تعالي – قال الشيخ زادة: " الاستفهام من الله محال؛ لأن الله عالم بجميع

---

(١) المعجم الوسيط، تأليف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة: ٧٠٤/٢، الناشر: دار الدعوة، وطالع: مختار الصحاح للرازي، مادة (ف هـ م) ص ٢٤٤، ط: المكتبة العصرية، بيروت، لبنان .

(٢) راجع: تلخيص المفتاح في (المعاني، والبيان، والبديع) للخطيب القزويني، ص٦٨، تح: عزت زينهم عبد الواحد، ط: مكتبة الإيمان بالمنصورة، نشر: مكتبة جزيرة الورد، وطالع: كتاب دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني، ص١٤٠، تح: أبي فهر محمود محمد شاكر، نشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة.

الأشياء "[1]، وقال الزركشي: " قال بَعْضُ الْأَئِمَّةِ: مَا جَاءَ عَلَى لَفْظِ الِاسْتِفْهَامِ فِي الْقُرْآنِ فَإِنَّمَا يَقَعُ فِي خِطَابِ اللَّهِ – تَعَالَى- عَلَى مَعْنَى أَنَّ الْمُخَاطَبَ عِنْدَهُ عِلْمُ ذَلِكَ الْإِثْبَاتِ أَوِ النَّفْيِ حَاصِلٌ فَيَسْتَفْهِمُ عَنْهُ نَفْسَهُ تُخْبِرُهُ بِهِ إِذْ قَدْ وَضَعَهُ اللَّهُ عِنْدَهَا فَالْإِثْبَاتُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: { وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا } [النساء: ٨٧]، وَالنَّفْيُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: { هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا } [الإنسان: ١] { فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } [هود: ١٤] وَمَعْنَى ذَلِكَ: أَنَّهُ قَدْ حَصَلَ لَكُمُ الْعِلْمُ بِذَلِكَ تَجِدُونَهُ عِنْدَكُمْ إِذَا اسْتَفْهَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ عَنْهُ فَإِنَّ الرَّبَّ – تَعَالَى – لَا يَسْتَفْهِمُ خَلْقَهُ عَنْ شَيْءٍ وَإِنَّمَا يَسْتَفْهِمُهُمْ لِيُقَرِّرَهُمْ وَيُذَكِّرَهُمْ أَنَّهُمْ قَدْ عَلِمُوا حَقَّ ذَلِكَ الشَّيْءِ فَهَذَا أُسْلُوبٌ بَدِيعٌ انْفَرَدَ بِهِ خِطَابُ الْقُرْآنِ وَهُوَ فِي كَلَامِ الْبَشَرِ مُخْتَلِفٌ"[2].

فإذا كان المستفِهم (اسم فاعل)عالماً بما استفهم عنه سمى الاستفهام مجازياً، ويقصد منه حينئذ معان بلاغية لغرض يقصده المستفهم وفى ذلك يقول الخطيب: " ثم إن هذه الألفاظ كثيراً ما تستعمل في معان غير الاستفهام بحسب ما يناسب المقام ... والمعاني التي يخرج إليها الاستفهام تنقسم قسمين كبيرين، يندرج تحت كل قسم منهما معان فرعية لا تكاد تحصر: القسم الأول: وهو استفهام التقرير (الإثبات)القسم الثاني: وهو استفهام الإنكار (النفي) أما المعاني الفرعية التي تتولد عن التقرير والإنكار بحسب المقام فكثيرة، منها: الامتنان، التذكير، الحث، التحضيض، التوبيخ، التعجب، الاستبطاء،والاستبعاد،والأمر،والنهى، والتشويق، وغير ذلك"[3].

---

(١) حاشية الشيخ زادة علي تفسير البيضاوي للشيخ محمد بن مصلح الدين مصطفي القوجوي الحنفي: ٤٨٨/٤، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط:الأولي ١٤١٩هـ ١٩٩٩م، وطالع: فواتح سور القرآن الكريم أنواعها ودلالتها، تأليف: الدكتور/ السيد إسماعيل علي سليمان، ص ١٠٢، ط: مكتبة الجامعة الأزهرية ط: الثانية ١٤٣١هـ ٢٠١٠م.

(٢) البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشي: ٣٢٦/٢، ٣٢٧ .

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة للإمام جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق: ٦٨/٣-٧٧ باختصار شديد، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، الناشر: دار الجيل، بيروت، ط: الثالثة .

## معني الاستفهام ومقصده في الآية:

اختلفت مشارب المفسرين في معني الاستفهام في قوله-تعالي-: { أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ}[الشرح:١]فيري الزمخشري(١)،والنسفي(٢)،وأبوالسعود(٣)، والقاسمي(٤)، أن الاستفهام للإنكار وعبارة الزمخشري: "استفهم عن انتفاء الشرح على وجه الإنكار، فأفاد إثبات الشرح وإيجابه، فكأنه قيل: شرحنا لك صدرك، ولذلك عطف عليه: وضعنا: اعتباراً للمعنى "(٥).

ومراد الزمخشري ومن تبعه أن الهمزة في قوله: { أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ} للإنكار والإنكار نفي وقد دخلت علي نفي عدم الشرح ونفي النفي إثبات فأفاد ثبوت الشرح وإيجابه فصار المعني قد شرحنا لك صدرك فصارت جملة خبرية في المعني ولذا عطف جملة وضعنا عنك وزرك عليها؛ لأنه لا يجوز عطف الجملة الإنشائية علي الخبرية وعلي ذلك الاستفهام هنا للإنكار ولا يجوز حمله علي التقرير؛ لأن النبي لم يكن منكر الشرح بل مقرا به (٦)، والغرض من الاستفهام التذكير والتنبيه كما قرر الزمخشري(٧).

وبينما يري جماعة من المفسرين منهم: ابن الجوزي(٨)، والخازن(٩)، والخطيب الشربيني(١٠)، والشوكاني(١١)، أن الاستفهام للتقرير وهو: حمل

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للإمام محمود بن عمر الزمخشري:٤/٧٧٠، ط: دار الكتاب العربي١٤٠٦هـ١٩٨٦م.

(٢) تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) للإمام أبي البركات عبد الله ابن محمود النسفي: ٣/٦٥٦، تح: يوسف علي بديوي، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، ط: الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨م .

(٣) تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) للإمام أبي السعود العمادي: ٩/١٧٢، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت .

(٤) محاسن التأويل: ٩/٤٩٤ .

(٥) الكشاف: ٤/٧٧٠.

(٦) ينظر: حاشية محي الدين الشيخ زاده علي تفسير البيضاوي: ٨/٦٢٧ بتصرف.

(٧) الكشاف: ٤/٧٧٠ .

(٨) زاد المسير: ٤/٤٦١.

(٩) لباب التأويل في معاني التنزيل للإمام علي بن محمد إبراهيم الخازن: ٧/٢٦٢، دار النشر: دار الفكر، بيروت، لبنان ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م .

(١٠) السراج المنير في الإعانة علي معرفة بعض معاني كتاب ربنا الحكيم الخبير للإمام محمد بن أحمد الشربيني: ٤/٤٠٦، دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت .

(١١) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام محمد ابن علي الشوكاني: ٢/١٠١٦، ط: الدار المصرية، ط: الرابعة ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م .

وهو النبي – ﷺ – علي الإقرار بشرح صدره؛ لأن الاستفهام إذا دخل علي النفي قرره، والغرض من هذا الاستفهام الامتنان علي النبي – ﷺ – بفتح صدره، وتوسيعه، حتى قام به بما قال من الدعوة وقدر علي ما قدر عليه من حمل أعباء النبوة، وحفظ الوحي(١).

**التوفيق بين القولين:**

قلت: من قال الهمزة للإنكار؛ علل ذلك أن الهمزة للإنكار أي: الجحد ومعناه النفي، وإذا دخل النفي علي النفي ( لم ) أفاد الإثبات وهذا مراد من قال الاستفهام للتقرير، قال الخطيب القزويني في هذا المقام: " من مجيء الهمزة للإنكار قوله– تعالى –: { أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَه } [الزمر: ٣٦] ، وقول جرير:

ألستم خير من ركب المطايا ∴ وأندى العالمين بطون راح(٢)

أي: الله كاف عبده، وأنتم خير من ركب المطايا؛ لأن نفي النفي إثبات، وهذا مراد من قال إن الهمزة فيه للتقرير أي: للتقرير بما دخله النفي لا للتقرير بالانتفاء وإنكار الفعل مختص بصورة أخرى، فالتقرير لا يجب أن يكون بالحكم الذي دخلت عليه الهمزة بل بما يعرف المخاطب من ذلك الحكم إثباتًا أو نفيًا، ومثل قوله –تعالى –: { أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَه }، وقوله – تعالى –: { أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّه } ؟ [المائدة: ١١٦] فالهمزة فيه للتقرير بما يعرفه عيسى –عليه السلام– مما يتعلق بهذا الحكم وهو أنه لم يقل: (اتخذوني وأمي إلهين من دون الله) لا بأنه قد قال ذلك " (٣).

فكذا الهمزة للتقرير بما يعرفه النبي – ﷺ – من شرح صدره لا بدخول الهمزة علي الفعل المنفي ولا مانع أن يكون الغرض والمقصد من الاستفهام في الآية الامتنان علي النبي – ﷺ – بشرح صدره لتحمل أعباء

---

(١) المرجع نفسه .

(٢) راجع: شرح ديوان جرير، تأليف: محمد إسماعيل عبد الله الصاوي، ص ٩٨، ط: مطبعة الصاوي، ط: الأولي، بدون تاريخ .

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة لجلال الدين القزويني الشافعي، تح: د/محمد عبدالمنعم خفاجي: ٣/٧٤ وهامشها .

النبوة والرسالة وتذكيره وتنبيهه بتفسيح صدره إذا لاقي العقبات وواجه المشكلات وتبشيره بالفرج عندما تضيق الأمور ويعظم الأذى من خصوم الدعوة من المشركين وغيرهم فاعرف أيها القارئ هذا التوفيق بين القولين في شأن الاستفهام والمقصد منه عسي الله أن ينفع بك.

**اللطيفة الثانية: السر في التعبير بالاستفهام دون الخبر في قوله – تعالي –: {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ} [ألم نشرح: 1]:**

لقد جاء النظم القرآني الكريم بصيغة الاستفهام وهو أسلوب من أساليب الجمل الإنشائية دون الخبر فقال الحق: { أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ } ولم يقل: شرحنا لك صدرك ليوقع في نفس الرسول – ﷺ – حلاوة، وعذوبة المستفهم عنه وهو شرح صدره – ﷺ – ويغرس في قلبه عظمة النعمة ويشعره بالرضي والسرور ويحرك بالاستفهام مشاعره ويجعل نفسه الشريفة تنطق بالجواب وتقر بالعطاء الإلهي بعد تدبر وروية وكذا تبرز معاني أخري بسبب إيثار الاستفهام علي الخبر وهي أن شرح الصدر من الوضوح والعطاء الباهر الذي لا ينكر بل يذكر فيشكر وفيه من الامتنان والتبهيج لقلب الرسول وتشويق، وإثارة لعقله – ﷺ – لإبراز المنة، والفضل من الله – ﷻ – (١) .

**اللطيفة الثالثة: (حقيقة الشرح في اللغة):**

جاء في لسان العرب: أن الشَّرْحُ والتَّشْرِيح قَطْعُ اللحم عن العضو قَطْعاً وقيل: قَطْعُ اللحم على العظم قطعاً، والقِطْعَةُ منه شَرْحة وشَرِيحة، وقيل: الشَّرِيحةُ القِطعةُ من اللحم المُرَقَّقَةُ، قال: ابن شميل: الشَّرْحة من الظِّباء الذي يُجاء به يابساً كما هو لم يقَدَّدْ، يقال: خُذْ لنا شَرْحة من الظِّباء، وهو لحم مَشْرُوح، وقد شَرَحْتُه وشَرَّحْتُه، والتَّصْفِيفُ نَحْوٌ من التَّشْرِيح، وهو تَرْقِيقُ البَضْعة من اللحم حتى يَشِفَّ من رِقَّتِه ثم يُلْقَى على الجَمْر، والشَّرْحُ

(١) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للإمام شهاب الدين الآلوسي: ٣٨٨/١٥، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: الأولي ١٤١٥هـ ١٩٩٤م، والإبداع البياني في القرآن العظيم للشيخ محمد علي الصابوني، ص ٤١٥ بتصرف، ط: المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

الكَشْفُ، يقال: شَرَحَ فلان أَمره أَي أَوضحه، وشَرَح مسأَلة مشكلة بَيَّنها، وشَرَح الشيءَ يَشْرَحُه شَرْحاً، وشَرَّحَه فتحه وبَيَّنَه وكَشَفه، وكل ما فُتح من الجواهر فقد شُرِحَ أَيضاً، تقول: شَرَحْتُ الغامِضَ إِذا فَسَّرْته، ومنه تَشْريحُ اللحم، ... وكل سمين من اللحم ممتدّ فهو شَرِيحة وشَرِيح، وشَرَح اللهُ صدرَه لقبول الخير يَشْرَحه شَرْحاً فانْشَرح وَسَّعَه لقبول الحق فاتَّسَع، وفي التنزيل: { فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ } [الأنعام: ١٢٥](١).

ومن هنا نعلم أن أصل الشرح الفسح والتوسعة كما قال ابن منظور: الشرح والتشريح قطع اللحم عن العضو قطعاً، ثم شاع استعماله في البيان والإيضاح، ومنه شرح الشيء، والكتاب إذا أوضحه وبينه وكشف أمره لما أن شرح الكتاب وتبسطه وتوضيح صعابه مستلزم لإظهار باطنه، ثم شاع أمر الشرح في سرور النفس حتي صار حقيقة عرفية، ولذا نجد أن ابن منظور عقب بعد ذلك بانشراح النفس وقبولها للحق فقال: وشَرَح اللهُ صدرَه لقبول الخير يَشْرَحه شَرْحاً فانْشَرح وَسَّعَه لقبول الحق فاتَّسَع وفي التنزيل: { فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ} [الأنعام:١٢٥](٢).

**اللطيفة الرابعة: السر في التعبير بالشَرح دون التوسيع:**

لقد جاء التعبير القرآني بـ { أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ } ولم يقل: (ألم نوسع لك صدرك) لأنه لما كانَ الصدرُ محلاً لأحوالِ النفسِ ومخزناً لسرائرِها من العلومِ والإدراكاتِ والملكاتِ والإراداتِ وغيرِها عبرَ بشرحِه عن توسيعِ دائرةِ تصرفاتِها بتأييدِها بالقوةِ القدسيةِ وتحليتِها بالكمالاتِ الأُنسيةِ أيْ ألمْ نفسحْهُ حَتَّى حَوَى عَالَمِيْ الغيبِ والشَّهادةِ وجمعَ بينَ مَلَكَتِيْ الاستفادةِ والإفادةِ فمَا صدَّكَ الملابسةُ بالعلائقِ الجسمانيةِ عنِ اقتباسِ أنوارِ

(١) لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، الشهير بابن منظور: ٤٩٧/٢–٤٩٨، مادة (شرح)، الناشر: دار صادر، بيروت، ط: الأولى .
(٢) المرجع نفسه .

الملكاتِ الروحانيةِ وَمَا عاقكَ التعلقُ بمصالحِ الخلق عن الاستغراق في شؤونِ الحقِّ قاله العلامة أبو السعود[1] .

قلت: لا ريب أن تعليل الإمام أبي السعود في السر في التعبير بالشرح في قوله: { أَلَمْ نَشْرَحْ } دون ألم نوسع صدرك له وجاهته إلا أن لي تعليل أخر وهو أن الشرح مختص بالصدور، وهو يدل دلالة واضحة علي السرور والفرح وطول البال وقوة اليقين للصدور المنشرحة، والثبات عند المشاكل وخاصة في مجال الدعوة إلي الله ولننظر إلي القرآن فنجد في قول الحق: {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ } [الأنعام: ١٢٥] وفي موضع أخر: { رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي } [طه: ٢٥]، وفي موضع مماثل: {أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ } [الزمر:٢٢].

فأنت ذا تري أيها القارئ الكريم أن من عادة القرآن عند ذكر الصدور القوية المليئة بالنور واليقين يذكرها بالشرح ولا يذكرها بالتوسيع لما وضحنا آنفاً أن الشرح مختص بالصدر، وهذا من عادة القرآن الكريم وليس من عادته ذكر التوسيع مع الصدور، أي لم يأت في القرآن ألم نوسع لك صدرك، ونلحظ ذلك جيداً مع الراغب الأصفهاني عند ما فسر الشرح قال: " أصل الشرح: بسط اللحم ونحوه، يقال: شرحت اللحم، وشرحته، ومنه: شرح الصدر أي: بسطه بنور إلهي وسكينة من جهة الله وروح منه. قال – تعالى –: { رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي } [طه: ٢٥]، وقال: { أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ } [الشرح: ١]، { أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ } [الزمر: ٢٢]، وشرح المشكل من الكلام: بسطه وإظهار ما يخفى من معاني " [2] .

وعندما فسر الراغب الوسع قال:" السعة تقال في الأمكنة، وفي الحال، وفي الفعل كالقدرة والجود ونحو ذلك. ففي المكان نحو قوله: { إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ } [العنكبوت: ٥٦] { أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً } [النساء: ٩٧]،

---

(١) تفسير أبي السعود ١٧٢/٩ –١٧٣

(٢) مفردات ألفاظ القرآن للعلامة الراغب الأصفهاني، ص٤٤٩مادة (ش ر ح)، تح: صفوان عدنان داوودي، ط: دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت، ط: الثانية ١٤١٨هـ ١٩٩٧م .

{وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ } [الزمر: ١٠]، وفي الحال قوله – تعالى-: { لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ } [الطلاق: ٧]، وقوله: { وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ } [البقرة: ٢٣٦]، والوسع من القدرة: ما يفضل عن قدر المكلف. قال – تعالى-: { لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا } [البقرة: ٢٨٦] تنبيها أنه يكلف عبده دون ما ينوء به قدرته، وقيل: معناه يكلفه ما يثمر له السعة، أي: جنة عرضها السموات والأرض كما قال: { يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ } [البقرة: ١٨٥]، وقوله: { وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا } [الأعراف: ٨٩]، فوصف له نحو: { أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا } [الطلاق: ١٢]، وقوله: {وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ } [البقرة: ٢٦٨]، { وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا } [النساء: ١٣٠]، فعبارة عن سعة قدرته وعلمه ورحمته وإفضاله كقوله: { وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا } [الأنعام: ٨٠]، { وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ } [الأعراف: ١٥٦][(١)].

**وغاية القول**: فقد ذكر الراغب أن الشرح مختص بالصدر وبسطه، وأن الوسع مختص بالأمكنة، والحال والقدرة فهذا هو سر التعبير بالشرح دون الوسع في النص القرآني المعجز فتأمل .

**اللطيفة الخامسة: المراد بشرح الصدر في الآية الكريمة:**

الذي يرنو ببصره ويجول بعقله فيما سطره المفسرون في كتبهم يجد أن جل أقوالهم تدور في تفسيرين حول المراد بشرح الصدر في الآية الكريمة:

**التفسير الأول**: قول ابن عباس – رضي الله عنهما – حيث قال: "شرح الله صدره للإسلام ديناً وشريعةً"[(٢)]، وهذا أعظم ما يمكن أن ينشرح له الصدر وهذا التفسير قائم علي أن الشرح معنوي وبه قال جمهور المفسرين.

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن، ص ٨٧٠، مادة (و س ع) .

(٢) أخرجه الإمام البخاري معلقاً عن ابن عباس – رضي الله عنهما –، وقال ابن حجر: وصله ابن مردويه من طريق ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس وفي إسناده راوٍ ضعيف . [ راجع: كتاب: التفسير، باب: سورة ألم نشرح من صحيح البخاري مع فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني: ٨/ ٥٨٢، ٥٨٣، ط: دار الريان للتراث، القاهرة، وذكره صديق حسن خان في تفسيره. راجع: فتحُ البيان في مقاصد القرآن: ٢٨٧/١٥، ط: المكتبة العصريَّة ١٤١٢هـ ١٩٩٢م ] .

**قال الطبري: " يقول تعالى ذكره لنبيه محمد – ﷺ –، مذكِّره آلاءه عنده، وإحسانه إليه، حاضاً له بذلك على شكره، على ما أنعم عليه، ليستوجب بذلك المزيد منه: { أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ } يا محمد، للهدى والإيمان بالله ومعرفة الحقّ { صَدْرِكَ } فنلِّين لك قلبك، ونجعله وعاء للحكمة "(١).**

**وقال الواحدي: " أَلم نفتحْ ونوسِّع ونليِّن لك قلبك بالإِيمان والنُّبوَّة والعلم والحكمة؟ " (٢).**

**وقال الزمخشري في هذا السياق: " ومعنى: شرحنا صدرك: فسحناه حتى وسع عموم النبوّة ودعوة الثقلين جميعاً، أو حتى احتمل المكاره التي يتعرض لك بها كفار قومك وغيرهم: أو فسحناه بما أودعناه من العلوم والحكم، وأزلنا عنه الضيق والحرج الذي يكون مع العمى والجهل "(٣).**

**التفسير الثاني: قول الحسن البصري وهو شرح الله صدر نبيه محمد – ﷺ – شرحاً حسياً بأن ملأه حكمةً وعلماً وإيماناً(٤)، ومن قبل الحسن صرح ابن عباس وجماعة إن ذلك إِشَارَةٌ إِلَى شَقِّ جِبْرِيلَ – عليه السلام – صَدْرَهُ فِي وَقْت صغره(٥)(٦)، وقال ابن كثير في هذا الشأن: " قِيلَ: الْمُرَادُ**

---

(١) تفسير الطبري: ٤٩١/٢٤.

(٢) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي: ١٢١٢/٢، تح: صفوان عدنان داوودي، ط: دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت، ط: الأولي ١٤١٥هـ ١٩٩٥م .

(٣) الكشاف: ٧٧٠/٤ .

(٤) تفسير الحسن البصري أورده الماوردي في تفسيره، والسيوطي أورده وقال:أخرجه عبد بن حميد وَابْن الْمُنْذر عَن الْحسن. [ راجع: النكت والعيون للماوردي: ٢٩٦/٦، تح: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، والدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي: ٥٤٧/٨، ط: دار الفكر، بيروت ] .

(٥) رواية شق صدر الرسول – ﷺ – وهو صغير عند مرضعته حليمة السعدية أخرجها الإمام مسلم بسنده إلي أنس بن مالك أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – أَتَاهُ جِبْرِيلُ – وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ، فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً، فَقَالَ: هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ سَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ لَأَمَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ، ... إلي آخره. [ راجع: صحيح مسلم، باب: الإسراء برسول الله – ﷺ –: ١٤٥/١، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت ] .

(٦) راجع: البحر المحيط: ٤٩٩/١٠ .

بِقَوْلِهِ – تعالى –: { أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ } شَرْحُ صَدْرِهِ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ "[1][2] والظاهر من كلام أهل العلم أن شق صدره – ﷺ – وقع مرتين في حياته مرة وهو صغير عند مرضعته حليمة السعدية ومرة في ليلة الإسراء[3].

**التوفيق بين التفسيرين** :

قلت: لا مانع أن يكون المراد بشرح الصدر القولين الشرح الحسي وهو شق صدره – ﷺ – مرتين كما سبق آنفاً، والشرح المعنوي وهو قول الجمهور وهو الذي يشهد له السياق القرآني، وأيدته الدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ فقالت ناقدةً الشرح الحسي: " كان ينبغي لمثل هذا التأويل، أن ينظر فيه إلى آيات شرح الصدر في القرآن، لنرى هل هي خاصة بنبينا – ﷺ –، فتتعلق بالمروى في السيرة عن شق الملائكة صدره، أيام كان طفلاً ببادية بني سعد؟ أو أنها أقرب إلى الشرح المعنوي للإيمان والهدى ؟ و " الراغب " اتجه إلى قريب من هذا، حين ضم آية الضحى إلى قوله –تعالى –: { رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي} [طه: ٢٥] وقوله تعالى: { أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [الزمر: ٢٢]، ثم اطمأن بها إلى أن " شرح الصدر بسطه بنور إلهي وسكينة من جهة الله وروح منه "، وآية طه خاصة بموسى–عليه السلام–، وبعدها: { وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي* يَفْقَهُوا قَوْلِي } [طه: ٢٦–٢٨] وآية الزمر نزلت فيمن { شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ } ولا مجال لقول بشق الصدر

---

(١) رواية شق صدر الرسول ليلة الإسراء أخرجها الإمام مسلم بسنده إلي أنس ابن مالك بلفظ، كَانَ أَبُو ذَرٍّ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: " فُرِجَ سَقْفُ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ فَنَزَلَ جِبْرِيلُ فَفَرَجَ صَدْرِي ثُمَّ غَسَلَهُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا فَأَفْرَغَهَا فِي صَدْرِي ثُمَّ أَطْبَقَهُ ... إلي آخره. [ راجع: صحيح مسلم، باب: الإسراء برسول الله – ﷺ –: ١/١٤٨ ] .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٨/٤٣٠، تح: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: الثانية ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م .

(٣) راجع: شرح الشفا في شمائل صاحب الاصطفا – ﷺ – للإمام نور الدين القاري: ٤/٧٨، تح: الشيخ / حسانين مخلوف، ط: مطبعة المدني، القاهرة .

وانتزاع القلب ثم غسله وتطهيره، مما ذكر النيسابوري وأبو حيان، عن ابن عباس، في تأويل آية الشرح " [1].

**قال الباحث**: الشرح المعنوي فيه إشارة واضحة إلي الشرح الحسي وهو شق صدره – ﷺ – وهو صغير، وإخراج ما في قلبه من النكتة السواء وكذا الشرح الحسي ممهد للشرح المعنوي الذي ذكره الجمهور ثم الاستفهام التقريري في قوله –تعالي –: { أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ } [الشرح: ١] الذي مقتضاه علم المقَّرر بما قُرر عليه والنبي الكريم مقر بما حصل من شرح صدره صغيراً وشقه وعالم به كما هو مثبت في الصحيح [2]، وهذه قرينة قوية في الأخذ بالشرح الحسي الممهد للشرح المعنوي، وإن كان السياق القرآني يشهد للشرح المعنوي كما قالت الدكتورة عائشة بنت الشاطئ فالقول بالجمع، بين القولين أوفق منهجًا، وأدق سبيلاً وخاصة في هذا المقام الذي هو مقام امتنان وتكريم من الله لنبيه في تعدد عطاياه عليه وتذكيره بنعمه، فما المانع أن يكون المراد بالشرح شرحاً حسياً ومعنوياً ؟ كما نحي إلي القول بذلك الإمام القاضي أبو بكر بن العربي[3]، والنيسابوري[4]، وابن كثير[5]، والدكتور/محمد سيد طنطاوي[6] .

**اللطيفة السادسة: السر في التعبير بـ(نون العظمة) في قوله تعالي: {نَشْرَحْ } [ألم نشرح: ١]:**

مما لاريب أن الألفاظ والعبارات القرآنية لها من الدلالات الوارفة الظلال والخصائص الدقيقة ما يجعل القارئ يوقن بذلك ويقر وإننا هنا في

---

(١) التفسير البياني للقرآن الكريم للدكتورة/ عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ: ٥٨/١، ٥٩، ط: دار المعارف، ط: السابعة .

(٢) راجع: هامش ص من هذا المطلب .

(٣) أحكام القرآن للإمام أبي بكر محمد بن عبد الله، المعروف بابن العربي: ٤٠٧/٤، تح: عماد زكي البارودي، ط: المكتبة التوفيقية، القاهرة.

(٤) غرائب القرآن ورغائب الفرقان للإمامنظامالدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري: ٥٢١/٦ وما بعدها، تح:الشيخ/ زكريا عميرات، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى ١٤١٦هـ .

(٥) تفسير ابن كثير:٤٢٩/٨ .

(٦) التفسير الوسيط، د/ محمد سيد طنطاوي: ٤٣٦/١٥، ط: دار السعادة، القاهرة.

مقام التعبير بـــ (نون العظمة) في قوله – تعالي –: { نَشْرَحْ } فنجد إضافة معاني لا نجدها إذا التعبير القرآني جاء بدونها فمن المعاني المستنبطة في ذلك والسر في التعبير أن نون العظمة فـــي قولـــه ســـبحانه: { نَشْـــرَحْ } (نشرح) تدل علي عظمة النعمة، من جهة أن المنعم العظـــيم إنمـــا يمـــنح العظيم من النعم، وفي ذلك إشارة إلي نعمة شرح الصدر– صدره –ﷺ– مما لاتصل العقول إلي كنه جلالتها[1] .

وما قيل: إن التعبير بنون العظمة في قوله: {نَشْـــرَحْ} هـــو الإعـــلام بواسطة الملائكة فالمعني كأنه – تعالي – يقول: لم أشـــرحه وحـــدي بـــل أعملت فيه ملائكتي فهذا القول لا يلتفت إليه وهو بعيد فهذه الآية كقوله – تعالي–: { لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أنزله بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَـــةُ يَشْـــهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا}[النساء: ١٦٦] فكما أن شهادته تغني عن شهادة غيره كذا شرحه لصدر حبيبه ومصطفاه – ﷺ – يغني عـــن شـــرح غيـــره والله وأعلم[2] .

**اللطيفة السابعة: القراءة الواردة في قوله– تعالي– : {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ } [الشرح:١]:**

قرأ عامة القراء[3]: { أَلَمْ نَشْرَحْ } بالسكون، وقرأ أبو جعفر المنصور: (أَلَمْ نَشْرَحَ) بفتح الحاء، وقراءة أبي جعفر المنصور شاذة لمخالفتها لقراءة الجمهور، وقد وجهت هذه القراءة الشاذة علي أن أصـــلها ألـــم نشـــرحن بنـــون التوكيد الخفيفة فأبدلت النون ألفاً، وقال غير واحد: لعل أبا جعفـــر

---

(١) السابق: ١٥/٤٣٧ .

(٢) الحاوي في التفسير للشيخ/ عبدالرحمن القماش: مج ٤١ج٨٢، ص٤٦، بدون طبعة.

(٣) يقصد بلفظة العامة :عامة القراء وجلهم إذا اتفقوا علي حرف واحد في القراءة وهـــم أصحاب القراءات المتواترة، وهم الأئمة: نافع، وابن كثير، وأبو عمر، وابن عـــامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي، أبو جعفر، ويعقوب، وخلف. [ راجع: معجم مصطلحات علم القراءات القرآنية، تأليف: الدكتور/ عبد المعلى المســـئول، ط: دار الســـلام، ط: الثانية ١٤٣٢هـــ ٢٠١١م ] .

بيَّن الحاء من نشرح وأشبعها فظن السامع أنه فتحها[1]، وللقراءة توجيه أخر، وهو أن بعض العرب من ينصب بـ (لم) التي هي للجزم ويجزم بلن التي للنصب [2].

**اللطيفة الثامنة: معنى اللام في قوله تعالى: {لَكَ} والمقصود بالكاف:**

وقبل أن نتكلم عن معني" اللام" في تلك الآية لابد أن نبسط الكلام في معاني اللام بقدر الوسع والطاقة حتى يستفيد القارئ من معانيها ونوسع من قريحته وعقله فنقول: اللام لها معان كثيرة، وهي:

**الأول: الاختصاص**، نحو: الجنة للمؤمنين، وهو أصل معانيها.

**الثاني: الاستحقاق**، نحو: النار للكافرين. قال بعضهم: وهو معناها العام، لأنه لا يفارقها.

**الثالث: الملك**، نحو: المال لزيد. وقد جعله بعضهم أصل معانيها، والظاهر أن أصل معانيها الاختصاص، وأما الملك فهو نوع من أنواع الاختصاص، وهو أقوى أنواعه ...

**الرابع: التمليك**، نحو: وهبت لزيد ديناراً.

**الخامس: شبه الملك**، نحو: أدوم لك ما تدوم لي .

**السادس: شبه التمليك**، نحو: {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا} [النحل: ٧٢].

**السابع: التعليل**، نحو: زرتك لشرفك.

**الثامن: النسب**، نحو: لزيد عم، هو لعمرو خال.

**التاسع: التبيين**، ولام التبيين هي اللام الواقعة بعد أسماء الأفعال، والمصادر التي تشبهها، مبينة لصاحب معناها. نحو: { هَيْتَ لَكَ } [يوسف: ٢٣].

**العاشر: القسم**، ويلزمها فيه معنى التعجب.

---

(١) راجع: المحتسب في تبين وجوه القراءات الشاذة والإيضاح عنها لابن جني: ٣٣٦/٢، ٣٣٧، تح: علي النجدي ناصف، والدكتور/ عبد الفتاح إسماعيل شلبي، ط: المجلس الأعلى لشئون الإسلامية ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م، والبحر المحيط: ٤٩٩/١٠، ٥٠٠ .

(٢) المرجعان أنفسهما.

**الحادي عشر: التعدية**، قال ابن مالك: كقوله – تعالى –: { فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا } [مريم: ٥].

**الثاني عشر: الصيرورة**، نحو قوله: لدوا، للموت، وابنوا، للخراب وتسمى أيضاً: لام العاقبة، ولام المآل ...

**الثالث عشر: التعجب**، كقولهم: يا للماء! ويا للعشب!إذا تعجبوا من كثرته.

**الرابع عشر: التبليغ**، ولام التبليغ هي اللام الجارة اسم سامع قول، أو ما في معناه، نحو: قلت له، وفسرت له، وأذنت له.

**الخامس عشر: أن تكون بمعنى إلى لانتهاء الغاية**، كقوله – تعالى–: {سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ } [الأعراف: ٥٧] أي: إلى بلد.

**السادس عشر: أن تكون بمعنى في الظرفية**، قالوا: كقوله – تعالى–: {يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي } [الفجر: ٢٤]، أي: في حياتي.

**السابع عشر: أن تكون بمعنى عن**، وهي اللام الجارة اسم من غاب حقيقة أو حكماً، عن قول قائل، متعلق به، نحو: { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ } [الأحقاف: ١١] أي: عن الذين آمنوا.

**الثامن عشر: أن تكون بمعنى على**، كقوله –تعالى –: { وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ } [الإسراء: ١٠٩] أي: على الأذقان.

**التاسع عشر: أن تكون بمعنى عند**، كقولهم: كتبته لخمس خلون، أي: عند خمس.

**المتمم عشرين: أن تكون بمعنى بعد**، كقوله –تعالى –: { أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ } [الإسراء: ٧٨].

**الحادي والعشرون: أن تكون بمعنى مع .**

**الثاني والعشرون: أن تكون بمعنى من، ومثله بعضهم** بقوله: سمعت له صراخاً، أي: منه.

**الثالث والعشرون: التبعيض**، ذكره صاحب رصف المباني، ومثله بقوله: الرأس للحمار، والكم للجبة.

**الرابع والعشرون: لام المستغاث به**، وهي مفتوحة مثل: فيا للناس .

**الخامس والعشرون: لام المستغاث من أجله**، وهي مكسورة إلا مع المضمر. فإذا قلت: يا لك، احتمل أن يكون مستغاثاً به، ومستغاثاً من أجلـه، وهـذه اللام هي، في الحقيقة، لام التعليل، وهي متعلقة بفعل محذوف. فإذا قلت: يا لزيد لعمرو، فالتقدير: أدعوك لعمرو، قال ابن عصفور قولاً واحداً، ولـيس كذلك، بل قيل: إنها تتعلق بحال محذوفة، أي: مدعواً لعمرو.

**السادس والعشرون: لام المدح**، نحو: يا لك رجلاً صالحاً.

**السابع والعشرون: لام الـذم**، نحو: يا لك رجلاً جاهلاً، راجعان إلـى لام التعجب.

**الثامن والعشرون: لام كي**، نحو: جئتك لتكرمني، فهذه اللام جارة، والفعل منصوب بأن المضمرة. وأن مع الفعل في تأويل مصدر، مجرور باللام. هذا مذهب البصريين، وهذه اللام أيضاً هي لام التعليل.

**التاسع والعشرون: لام الجحود**، وهي الواقعة بعد كان الناقصة المنفيـة. نحو: { مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ { [آل عمران:١٧٩](١).

وبعد التطواف في معاني اللام في اللغة والقرآن الكريم نذهب الآن إلي معني اللام في قوله: { لَكَ }.

فقال الفخر الرازي: " السُّؤَالُ الثَّانِي: لِمَ قَالَ: {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَـدْرَكَ} وَلَمْ يَقُلْ: أَلَمْ نَشْرَحْ صَدْرَكَ؟ وَالْجَوَابُ: مِنْ وَجْهَيْنِ، أَحَدُهُمَا: كَأَنَّـهُ تَعَـالَى يَقُولُ لَامٌ بِلَامٍ، فَأَنْتَ إِنَّمَا تَفْعَلُ جَمِيعَ الطَّاعَاتِ لِأَجْلِي كَمَا قَالَ: {إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذَّارِيَاتِ: ٥٦]، {أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي} [طه: ١٤] فَأَنَا أَيْضًا جَمِيعُ مَا أَفْعَلُـهُ لِأَجْلِكَ، وَثَانِيهَا: أَنَّ فِيهَا تَنْبِيهًا عَلَى أَنَّ مَنَافِـعَ الرِّسَالَةِ عَائِدَةٌ إِلَيْهِ – ﷺ –، كَأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ: إِنَّمَا شَرَحْنَا صَدْرَكَ لِأَجْلِكَ لَا لِأَجْلِي " (٢) .

وقال الصديق حسن خان في هذا المعترك: " لم يقل نشـرح صـدرك تنبيهاً على أن منافع الرسالة عائدة عليه – ﷺ –كأنه يقول إنمـا شـرحنا

---

(١) الجني الداني في حروف المعـاني، صـنعة: الحسـن بن قاسـم المرادي، ص٩٥–١٠٩، تح: الدكتور/ فخر الدين قباوة، والأستاذ/ محمد نديم فاضـل ط: دار الكتـب العلمية، ط: الأولي ١٤١٣هـ ١٩٩٢م .

(٢) التفسير الكبير: ٣٢/ ٢٠٦ .

صدرك لأجلك لا لأجلي، والمراد بالامتنان عليه – ﷺ – بفتح صدره وتوسيعه حتى قام بما قام به من الدعوة وقدر على ما قدر عليه من حمل أعباء وحفظ الوحي " [1] .

**قال الباحث**: الظاهر من كلام الشيخين الرازي والصديق حسن خان أن اللام للتعليل كما قال المرادي في معاني اللام آنفاً: " السابع: للتعليل كقولهم: زرتك لشرفك" فاللام فيها تكريم للمصطفي – ﷺ – فما فُعل به من شرح الصدر إنما هو من باب إجلاله وتكريمه – ﷺ –،ومن أجل تشريفه وتهيئته لحمل رسالة الله إلي خلقه فأمر الشرح دائر في فلك منفعة النبي – ﷺ – ليس إلا وكاف الخطاب إنما هي لسيد البشر كما ينبئ السياق عنه فتدبر .

**اللطيفة التاسعة: المقصد من تقديم الجار والمجرور {لَكَ} في قوله – تعالي –: {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ} [الشرح: ١] وتفنيد رأي من زعم أن الجار والمجرور {لَكَ} مقحمة وزائدة في النص القرآني المعجز:**

إن فن التقديم والتأخير فن رفيع يعرفه أهل البصر بالتعبير والذين أوتوا حظاً من معرفة مواقع الكلم وليس ادعاء يدعى أو كلمة تقال، وقد بلغ القرآن الكريم في هذا الفن – كما في غيره – الذروة في وضع الكلمات الوضعَ الذي تستحقه في التعبير بحيث تستقر في مكانها المناسب، ولم يكتف القرآن الكريم في وضع اللفظة بمراعاة السياق الذي وردت فيه بل راعى جميع المواضع التي وردت فيها اللفظة ونظر إليها نظرة واحدة شاملة في القرآن الكريم كله، فنرى التعبير متسقاً متناسقاً مع غيره من التعبيرات كأنه لوحة فنية واحدة مكتملة متكاملة.

فلا غرو أن القرآن الكريم دقيق في وضع الألفاظ ورصفها بجنب بعض دقة عجيبة فقد تكون له خطوط عامة في التقديم والتأخير، وقد تكون هناك مواطن تقتضي تقديم هذه اللفظة أو تلك، كل ذلك مراعى فيه سياق الكلام والاتساق العام في التعبير على أكمل وجه وأبهى صورة، وسنوضح

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن: ١٥/٢٩٠ .

هذا القول المجمل ببيان شاف[1]، وهو أن النص القرآني في قوله – تعالي–: { أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ } قدم (لك) علي لفظ (صَدْرَكَ) لأجل البداءة به لشرف مقام النبي – ﷺ –، وإظهار الاهتمام مع ما فيه من التشويق حيث عين المشروح له ولم يعين المشروح فزاد تشوف النفس إليه ليكون أقر له ثم بينه ليكون بياناً بعد إبهام، وليكون أعظم في التنويه، وأجل في التعريف فقال: { صَدْرَكَ } [2] .

**تفنيد رأي من زعم أن الجار والمجرور (لك) مقحمة، وزائدة في النص القرآني المعجز:**

زعم النيسابوري أن الجار والمجرور (لك) في قوله – تعالي –: { أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ } [الشرح: ١] مقحمة وعبارته: " وفوائد إقحام لك دون أن يقتصر على قوله ألم نشرح صدركما مر في قوله: { رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي } [طه: ٢٥] من الإجمال ثم التفصيل، ومن إرادة الاختصاص أو كونه أهم " [3].

ونحي منحى الإمام النيسابوري القاضي أبو السعود في زيادة (لك) وإن اختلف معه في التوجيه فقال: " وزيادة الجار والمجرور مع توسطه بين الفعل ومفعوله للإيذان بأن الشرح من منافعه – عليه الصلاة والسلام – ومصالحه ومسارعة إلى إدخال المسرة في قلبه، وتشويقاً له إلى ما يعقبه ليتمكن عنده وقت وروده فضل تمكن "[4].

**قلت–أي: الباحث–**: لله در الدكتور/ عبد العظيم المطعني في هذا الشأن حيث رد ذلك وفنده فقال: " القول بالزيادة في القرآن أمر ليس مقبولاً عند التحقيق، فكل ما جاء في النظم الكريم له معنى دال عليه يزول بزواله، لذلك

---

(١) راجع: مقال د/ فاضل السامرائي، علي موقع شبكة الفصيح في اللغة العربية علي الشبكة العنكبوتية (النت) .

(٢) طالع: دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم للدكتور/ منير محمود المسيري، ص٧٠٥، ط: مكتبة وهبة، ط: الأولي ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م، وتفسير جزء عم للشيخ/ محمد عبده، ص ٨٧، ٨٨، بدون طبعة .

(٣) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٥٢١/٦.

(٤) تفسير أبي السعود: ١٧٢/٩.

فقد تصدى للرد على هذه الفرية – عموماً – عالم ملهم هو المغفور له محمد عبد الله دراز ونفى بالدليل المقنع أن يكون في القرآن زائد[١]، فقال الدكتور/محمد عبد الله دراز: " دع عنك قول الذي يقول في بعض الكلمات القرآنية إنها (مقحَمة) وفي بعض حروفه إنها (زائدة) زيادة معنوية، ودع عنك قول الذي يستخف كلمة (التأكيد) فيرمي بها في كل موطن يظن فيه الزيادة، لا يبالي أن تكون تلك الزيادة فيها معنى المزيد عليه فتصلح لتأكيده أو لا تكون، ولا يبالي أن يكون بالموضع حاجة إلى هذا التأكيد أو لا حاجة له به، أجل، دع عنك هذا وذاك، فإن الحكم في القرآن بهذا الضرب من الزيادة أو شبهها إنما هو ضرب من الجهل – مستورًا أو مكشوفًا– بدقة الميزان الذي وضع عليه أسلوب القرآن، وخذ نفسك أنت بالغوص في طلب أسراره البيانية على ضوء هذا المصباح، فإن عمي عليك وجه الحكمة في كلمة منه أو حرف فإياك أن تعجل كما يعجل هؤلاء الظانون؛ ولكن قل قولًا سديدًا هو أدنى إلى الأمانة والإنصاف، قل: الله أعلم بأسرار كلامه، ولا علم لنا إلا بتعليمه، ثم إياك أن تركن إلى راحة اليأس فتقعد عن استجلاء تلك الأسرار قائلًا: أين أنا من فلان وفلان؟ ... كلا، فرب صغير مفضول قد فطن إلى ما لم يفطن له الكبير الفاضل " [٢]. ونستأنف هنا قول الشيخ المطعني في هذا المقام فيقول: " لم ترض صاحبة التفسير البياني[٣]ما قال به أبو السعود والنيسابوري وهي ترى في الجار والمجرور في المواضع الثلاثة ضرورة بيانية اقتضاها المقام ولكنها لم تبين وجه تلك الضرورة، وأنا مع الرافضين للقول بالزيادة في القرآن في هذه المواضع، وفي كل موضع يذهب فيه هذا المذهب، والذي أراه في الجار والمجرور في

---

(١) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية للدكتور/ عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني: ٢/١٤١،ط: مكتبة وهبة، ط: الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٢م .

(٢) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية: ٢/١٤١وما بعدها، وراجع: النبأ العظيم للعلامة/ محمد عبد الله دارز، ص ١٦٥، ط: دار القلم للنشر والتوزيع.

(٣) الدكتورة/ عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ. [ راجع: التفسير البياني للقرآن الكريم: ١/٦٢، ٦٣ ] .

المواضع الثلاثة المذكورة أنها واردة لتأكيد المعنى المفهوم من الجملة، لذلك حرص القرآن الكريم على أن يذكر في كل موضع من المواضع الثلاثة الجار والمجرور المناسب للمعنى، ففي الموضع الأول كان: { أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ} [الشرح: ١] فالشرح خير فناسبه (لك) وقدم اهتماماً به، وفي الموضع الثاني كان: { وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ } [الشرح: ٢] وقدم (عنك) لنفس المعنى الذي قدم من أجله (لك) في الآية السابقة، وفي الموضع الثالث كان { وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ } فالرفع للذكر خير وشرف ولذلك عاد (لك) مرة أخرى، لأنه مشعر بالنفع، فلا زيادة ولا إقحام، ولو تلا تالٍ هذه الآيات محذوفاً منها الجار والمجرور لظهر الفرق من حيث اللفظ، ومن حيث المعنى، فيما عليه النص الكريم وفيما عليه غيره بعد الحذف " [١].

قلت: القول ما قال الشيخ المطعني فلله دره علي ما أجاد، وأفاد.

**اللطيفة العاشرة: السر في التعبير بـ { صَدْرَكَ } دون قلبك في قول الله – تعالى –: { أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ } [الشرح:١]:**

لم يسق القرآن عباراته، وألفاظه سدي بل لأسرار دقيقة ومقاصد عظيمة، وها نحن نرنو بعيوننا تجاه السر في التعبير بصدرك دون القلب في الآية لآنفة الذكر فنجد أن مشارب أهل التفسير اختلفت في التعليل لهذا علي النحو التالي:

١- يرى مكي بن أبي طالب القيسي أن الصدر محل العلم والقرآن، بدليل قوله: { بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الذين أُوتُواْ العلم } [العنكبوت: ٤٩]والمراد به القلب، لأنه وعاء الفهم والعلم، ولكن ذكر الصدر هنا في الآية لقربه من القلب وامتزاجه به[٢] .

---

(١) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية: ١٤١/٢ وما بعدها .

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه للإمام محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي: ٨٣٣٢/١٢، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، ط: الأولى ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م .

٢- يذهب الرازي إلي أن الصدر هو محل الوسوسة عَلَى مَا قَالَ الله: {يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ } [النَّاس: ٥] فَإِزَالَةُ تِلْكَ الْوَسْوَسَةِ وَإِبْدَالُهَا بِدَوَاعِي الْخَيْرِ هِيَ الشَّرْحُ، فَلَمَّا جَرَمَ خُصَّ ذَلِكَ الشَّرْحُ بِالصَّدْرِ دُونَ الْقَلْبِ(١).

٣- ينحو الشوكاني والصديق حسن خان منحي مغاير لما سبق فيذهبا إلي أن الصدر محل لأحوال النفس من العلوم والإدراكات، ولهذا جاء التعبير بالصدر دون القلب(٢) .

٤- يسطر الإمام نظام الدين النيسابوري قولاً آخر عن السر في التعبير بالصدر دون القلب، هو: ليس للشيطان إلى القلب سبيل، ولهذا لم يقل: (ألم نشرح قلبك) وإنما يجيء الشيطان إلى الصدر الذي هو حصن القلب فيبث فيه هموم الدنيا والحرص على الزخارف فيضيق القلب حينئذ ولا يجد للطاعة لذة ولا للإيمان حلاوة ولا على الإسلام طلاوة، فإذا طرد العدو بذكر الله والإعراض عمّا لا يعينه حصل الأمن وانشرح الصدر وتيسر له القيام بأداء العبودية(٣).

**قلت**: من خلال ما سبق لا منافاة بين ما ذكر عن المفسرين في الكشف عن السر في التعبير بالصدر دون القلب في قوله –تعالي–: { أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ } [الشرح: ١] فعبر القرآن بالصدر بدلاً من القلب في الآية التي معنا لقرب الصدر من القلب وامتزاجه به؛ ولأن الصدر محل الوسوسة والضيق والحرج كما قال الله – تعالي–: { يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ } [الناس: ٥]، وقوله – تعالي –: { فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ } [هود: ١٢]، وكما قال الله: { فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ }[الأعراف: ٢]، ولأن الصدر محل لأحوال النفس من العلوم والإدراكات، أو لأن ليس للشيطان إلى القلب سبيل وإنما يجيء

---

(١) التفسير الكبير للإمام الرازي:٢٠٥/٣٢، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الثالثة ١٤٢٠هـ .

(٢) طالع: فتح القدير للشوكاني: ١٠١٦/٢، وفتح البيان للصديق حسن خان: ٢٨٧/١٥.

(٣) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٥٢٢/٦ .

الشيطان إلى الصدر الذي هو حصن القلب فيبث فيه هموم الدنيا والحرص على الزخارف فيضيق القلب حينئذ ولا يجد للطاعة لذة ولا للإيمان حلاوة ولا على الإسلام طلاوة، فإذا طرد العدو بذكر الله والإعراض عمّا لا يعينه حصل الأمن وانشرح الصدر وتيسر له القيام بأداء العبودية فما ذكروه وسطروه كله صحيح ويعول عليه في الكشف عن السر والسبب في التعبير بالصدر دون القلب فتأمل .

**اللطيفة الحادية عشر: جمال الإضافة في لفظة صدرك من قول الله – تعالي – : { أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ } [الشرح: ١]:**

لا جرم أن ذاك النظم القرآني المتناغم والمتناسق في حركاته وفي فاصلته المنتهية بكاف المسبوقة بالراء المفتوحة وكاف الضمير المضاف إليه إلي لفظ صدر المضاف لتوحي بجمال الإضافة التي ترمي إلي مدي حب الله لنبيه – ﷺ – والاهتمام بأمره – ﷺ – فقال: { أَلَمْ نَشْرَحْ لكَ صَدْرَكَ } ولم يقل: (ألم نشرح لك الصدر) فضلاً علي عطاء الحق ومنَّته علي نبيه فشرح صدره دون سؤال كما سأل موسي–عليه السلام – فقال: { قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي } [طه: ٢٥] فانظر إلي مقام نبينا الكريم عند ربه أعطاه ومنحه تكرماً وأبرز حبه الكبير له واهتمامه به في تلك الإضافة فياله من سياق ومقام امتنان مفعم بقرائن التكرم والمحبة ينثر عطراً جميلاً في جو متناسق معني ولفظاً ! [١] .

(١) ينظر: العزف علي أنوار الذكر (معالم الطريق إلي فقه المعني القرآني في سياق السورة) للدكتور/محمود توفيق محمد سعد، ص ٢٠٩، ٢١٠ بتصرف، ط: المؤلف، ط: ١٤٢٤هـ .

## المطلب الثالث

## لطائف قول الله تعالي: { وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ }

## [الانشراح: ٢]

**اللطيفة الأولي: الواو ومعناها في اللغة والآية:**

لقد فصل أهل اللغة القول في الواو ومعانيها في لغة العرب فقالوا تأتي جارة وناصبة وغير عاملة، فالجارةُ واو القسم، نحو: { وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ } [الأنعام: ٢٣] والناصبة واو (مع) فتنصب المفعول معه في رأي قوم، نحو: { فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ } [يونس: ٧١] ولا ثاني له في القرآن، والمضارعَ في جواب النفي أو الطلب عند الكوفيين، نحو: { وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ } [آل عمران: ١٤٢] ونحو {يا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } [الأنعام: ٢٧] وغير العاملة أنواع:

**النوع الأول**: واو العطف، وهي لمطلق الجمع، ولا تقتضي الترتيب علي الصحيح فتعطف الشيء على مصاحبه، نحو: { فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ } [العنكبوت: ١٥]،وعلى سابقه، نحو: { أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ } [الحديد: ٢٦]،ولاحقه، نحو: { يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ } [الشورى: ٣]،والشيء على مرادفه، نحو: { صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ } [البقرة: ١٥٧]،

**النوع الثاني**: واو الاستئناف، نحو: { ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ} [الأنعام: ٢] { وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ } [البقرة: ٢٨٢] .

**النوع الثالث**: واو الحال الداخلة على الجملة الاسمية، نحو: { وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ } [البقرة: ٣٠]

**النوع الرابع**: واو الثمانية، ذكرها جماعة كالحريري وابن خالويه والثعلبي، وزعموا أن العرب إذا عدّوا يدخلون الواو بعد السبعة إيذانا بأنها عددٌ تام، وأن ما بعده مستأنف، وجعلوا من ذلك قوله: { سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ } [الكهف: ٢٢]

**النوع الخامس**: واو ضمير المذكور في اسم أو فعل، نحو: (المؤمنون) { وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ } [القصص: ٥٥]، { قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ } [إبراهيم: ٣١] (١).

أما الواو في الآية فهي واو الاستئناف، وهي لا تقتضي تقديم ولا تأخير وهي من باب عطف الجملة علي الجملة فقد عطف جملة: {وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ } [الشرح: ٢]علي جملة: { أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ } [الشرح: ١]،ولَمَّا كان (ألم نشرح) في معنى (قد شرحنا) عُطِفَ عليه (ووضَعْنا) لتناسبهما في الخبرية من حيث المعني؛ لأنه لا يجوز عطف الجملة الاستفهامية ذات الطابع الإنشائي علي الجملة الخبرية كما قرر أهل البلاغة (٢).

ولذا قال القرطبي: معنى { أَلَمْ نَشْرَحْ } قد شرحنا، الدليل، على ذلك قوله في النسق عليه: { وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ }، فهذا عطف على التأويل، لا على التنزيل، لأنه لو كان على التنزيل لقال: ونضع عنك وزرك، فدل هذا على أن معنى { أَلَمْ نَشْرَحْ }: قد شرحنا(٣) .

**اللطيفة الثانية: معني الوضع لغة والمقصود به في النص القرآني المعجز: {وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ} [الشرح: ٢]:**

إنَّ الممعن نظره في صفحات المعاجم ليجد أن مادة (وضع) في اللغة تدور في فلك الْخَفْضِ والحط، قال ابن فارس: " وَضَعَ الْوَاوُ وَالضَّادُ وَالْعَيْنُ:

---

(١) راجع: الجني الداني في حروف المعاني للمرادي، ص ١٥٣-١٧٣بتصرف وتلخيص شديدين، ومعترك الأقران في إعجاز القرآن للإمام عبد الرحمن ابن أبي بكر جلال الدين السيوطي: ٣/٣٦٢-٣٦٤، دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م، والمصباح المنير للفيومي، ص ٣٤٧، مادة (و ا و)، ط: المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، ط: الثانية ١٤١٨هـ ١٩٩٧م .

(٢) راجع: علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع) للشيخ/ أحمد مصطفي المراغي، ص١٧٤ وهامشها، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: الرابعة ١٤٢٢هـ، وانظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري: ١/٦٢٧، تح: د/مازن المبارك، ط: دار الفكر، بيروت، ط: السادسة ١٩٨٥م.

(٣) تفسير القرطبي: مج١٠/ ج١٠٥/٢٠، تح: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة، ط: الثانية ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م .

أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى الْخَفْضِ [لِلشَّيْءِ] وَحَطِّهِ، وَوَضَعْتُهُ بِالْأَرْضِ وَضْعًا، وَوَضَعَتِ الْمَرْأَةُ وَلَدَهَا، [وَ] وُضِعَ فِي تِجَارَتِهِ يُوضَعُ: خَسِرَ، وَالْوَضَائِعُ: قَوْمٌ يُنْقَلُونَ مِنْ أَرْضٍ إِلَى أَرْضٍ يَسْكُنُونَ بِهَا، الْوَضِيعُ: الرَّجُلُ الدَّنِيُّ، وَالدَّابَّةُ تَضَعُ فِي سَيْرِهَا وَضْعًا، وَهُوَ سَيْرٌ سَهْلٌ يُخَالِفُ الْمَرْفُوعَ ... وَالرَّجُلُ الْمُوَضَّعُ: الَّذِي لَيْسَ بِمُسْتَحْكِمِ الْأَمْرِ " (١).

وقال ابن منظور: "الوَضْعُ ضدّ الرفع وضَعَه يَضَعُه وَضْعاً ومَوْضُوعاً ... ورجل وَضِيعٌ وَضُعَ يَوْضُعُ وضاعةً وضَعَةً وضِعةً صار وَضِيعاً فهو وَضِيعٌ وهو ضِدُّ الشريف واتَّضَعَ ووَضَعَه ووَضْعَه ... وقال ابن شميل عن أَبي زيد وَضَعَ البعير إِذا عَدا وأَوْضَعْتُه أنا إِذا حملته عليه " (٢) .

قلت: كلمة وضع، وإن كان أصلها الحط والخفض وخاصة إذا عديت بعن كما قال الشيخ الشنقيطي(٣) إلا أن الكلمة تدور علي وجوه سبعة هي:

**الوجه الأول**: الوضع بمعني الولادة، مثل قوله – تعالى –: { فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ } [آل عمران: ٣٦] يعني: الولادة.

**الوجه الثاني**: الوضع بمعنى الحط، نحو قوله – سبحانه – في سورة الشرح: { وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ } [الآية: ٢] أي: حططنا عنك .

**الوجه الثالث**: الوضع بمعني النصب، نحو قوله – تعالى – في سورة الأنبياء: { وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ } [الآية: ٤٧].

**الوجه الرابع**: الوضع بمعني البسط، مثل قوله – تعالى – في سورة الرحمن: { وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ } [الآية: ١٠] أي: بسطها .

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس: ١٧٧/٦، مادة (و ض ع)، تح: العلامة عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.
(٢) لسان العرب: ٣٩٦/٨، مادة (و ض ع).
(٣) أضواء البيان: ٥٧٥/٨ .

**الوجه الخامس**: الوضع بمعني الإسراع، نحو قوله – تعالى – في سورة التوبة:{ وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ } [الآية: ٤٧] . أي: لأسرعوا في ثنايكم .

**الوجه السادس**: الوضع بمعني خلع الثياب، مثل قوله– تعالى– في سورة النور: { وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ } [الآية: ٥٨] وقوله تعالى في سورة النور:{أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ}[الآية:٦٠].

**الوجه السابع**: الوضع بمعني الخلو من الشيء، مثل قوله تعالى في سورة النساء: { أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ } [الآية: ١٠٢] أي: تخلوا منها [١] .

**قلت ـ أي: الباحث** -:هناك وجه ثامن للوضع بمعني الحمل مثل قولهم: وضعت عليك بمعني حملت عليك[٢].

أما المقصود بالوضع هنا في الآية هو الإزالة والحط؛ لأن هذا اللفظ إذا عدي بعن كان للحط والتخفيف وإذا عدي بعلي كان للحمل والتثقيل تقول: وضعت عن فلان قيده: إذا أزلته عنه، وضعته عليه إذا حملته عليه والمعني: لقد شرحنا لك– أيها الرسول الكريم – صدرك، وأزالنا عنك وحططنا عنك حطاً لا رجعة فيه حملك الذي لا يستطاع حمله فكنت جديراً بفضل الله بحمل هذه الرسالة وتبليغها علي أتم وجه وأكمله[٣].

---

(١) قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم للإمام الحسين ابن محمد الدمغاني، ص٤٩٠، تح: عبد العزيز سيد الأهل، دار النشر: دار العلم للملايين، بيروت، ط: الثالثة ١٩٨٠م .

(٢) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس للإمام محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبي الفيض، الملقب بمرتضى الزبيدي: ٣٤٦/٢٢، مادة (و ض ع)، الناشر: دار الهداية، والنهاية في غريب الحديث والأثر للإمام أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري: ٤٣١/٥، باب: الواو مع الضاد، تح: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م، والتفسير الوسيط: للدكتور/ محمد سيد طنطاوي: ٤٣٧/١٥.

(٣) طالع تفسير جزء (عم) مقتطف من نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي، ص ٣٥٠، ط: دار صادر، ط: الأولي ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م، والتفسير الوسيط: ٤٣٧/١٥، ٤٣٨ بتصرف .

**اللطيفة الثالثة: جمال التعبير ب { وَضَعْنَا } في الآية:**

لاشك أن كل كلمة، أو ضمير، أو حرف في القرآن العظيم سيق لمعني وهدف سامي وغرض سامق يوجد بوجوده ويزول بزواله، والقارئ لكلمة وضعنا يجد أنها جاءت بضمير المتكلم العظيم وهو ضمير الجماعة مع أن المتكلم واحد في وضعنا وذلك للإشعار بأن المنة التي امتنَّ الله علي رسوله – ﷺ – بوضع وحط وزره منَّة عظيمة تناسب عظمة واهبها؛ وللأطماع بتحقق المنن الموعود بها فمقدم الوعد عظيم جليل ويدخل فيما ذكرنا الضمير في { نَشْرَحْ } كما أسلفنا القول في ذلك ولم يأت مثل هذا الاستعمال في سورة الضحى؛ لأن الموقف فيها موقف إيناس، واستعطاف من الرب لرسوله، في مقابل ما أشاع من بعض أعدائه، وحساده من أن ربه ودعه وقلاه، ومثل هذه هذا الموقف يلائمه حديث الخليل خليله دون استعمال ضمير المتكلم العظيم(١).

**اللطيفة الرابعة: تقديم عنك وحلاوته في قوله– تعالي ـ : { وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ } [الانشراح: ٢]:**

من المقرر في الأذهان أن ترتيب الكلام في القرآن جاء بدقة متناهية وبلاغة ثاقبة فإذ قدم القرآن الكريم جملةً علي أخري، أو لفظاً علي أخر فإنما لهدف نبيل بليغ وهو ما نقصد في الآية الكريمة حيث قدم الحق – عز كلمه –: { عَنْكَ } علي: { وِزْرَكَ } وكان من الممكن في غير القرآن أن يجئ النظم: ( ووضعنا وزرك عنك) لكن تقديم { عَنْكَ } علي: { وِزْرَكَ } الذي هو مفعول للفعل { وَضَعْنَا } من أجل القصد إلي تعجيل المسرة إلي قلب الرسول – ﷺ – بوضع الوز ومحوه فيكمل السرور مع شرح الصدر وضع الوزر وتستشرف النفس وتتشوق للإيضاح وإزالة الإبهام فيأتي لفظ { وِزْرَكَ } فيزيل المبهم ويرتوي ظمأ النفس إلي المعرفة، هذا الظمأ الذي أثاره التشويق فتتمكن المعرفة وتثبت مع في عنك من تأكيد، وإشعار بالتمييز، والتخصيص إذ المقام مقام امتنان سبقت دواعيه، وكذا لا يخفي

---

(١) طالع: معارج التفكر ودقائق التدبر للشيخ / عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: ١/٦٠٠ – ٦٠١، ط: دار القلم، ط: الثانية ١٤٣٣هـ ٢٠١٢م .

علي بليغ أريب من تأخير { عَنْكَ } مخل بنظم الآية، وهذا يتنزه عنه القرآن؛ لأن جمال النظم واتساقه، هو أم إعجاز القرآن العظيم فتدبر[١].

**اللطيفة الخامسة: السر في مجيء التعبير القرآني: { وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ} [الانشراح: ٢] ولم يأت: (ووضعنا لك وزرك):**

القارئ لتفسير الطاهر بن عاشور يلقي أن الطاهر تولي تعليل ذلك حيث قال: " وإنما لم يذكر مع { وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ } بأن يقال: ووضعنا لك وزرك للاستغناء بقوله: {عَنْكَ} فإنه في إفادة الإبهام ثم التفصيل مساو لكلمة {لَكَ}، وهي في إفادة العناية به تساوي كلمة {لَكَ}، لأن وضع الفعل المعدي إلى الوزر يدل على أن الوضع عنه فكانت زيادة {عَنْكَ} إطنابا يشير إلى ذلك عناية به نظير قوله: { لَكَ } الذي قبله، فحصل بذكر عنك إيفاء إلى تعدية فعل {وَضَعْنَا} مع الإيفاء بحق الإبهام ثم البيان"[٢].

**اللطيفة السادسة: معني { وِزْرَكَ } في الآية الكريمة:**

إن الناظر لأقوال المفسرين حول معني:{ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ } [الشرح: ٢] سيجد أن لهم أقاويل كثيرة تكاد تنحصر في عدة أقوال أهمها ثلاثة:

١- أن الوزر هنا هو الذنب، وبه قال بعض السلف، مثل: مجاهد وقتادة وابن زيد[٣]، ويقصد بذلك: ما كان منه - ﷺ - من خطأ وسهو قبل البعثة[٤] فيكون المعنى: وحططنا عنك الذنب الذي كان منك قبل البعثة

---

(١) راجع: روح المعاني: ١٥ /٣٨٨، ومعارج التفكر ودقائق التدبر: ١/ ٦٠٠ .
(٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور: ١٥/ ٤١٢، ٤١٣ .
(٣) راجع: جامع البيان في تأويل القرآن للإمام أبي جعفر الطبري: ٢٤/٤٩١.
(٤) أما ما رواه الطبري بسنده إلي الضحاك أنه قال: حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: { وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ } يعني: الشرك الذي كان فيه، فهذه الرواية باطلة وساقطة سنداً ومتناً، أما السند ففيه الحسين بن الفرج وهو كذاب يضع الحديث كما قال ابن معين، وفيه علة أخري وهي الانقطاع في السند بين ابن جرير الطبري والحسين ابن الفرج فالإسناد ساقط: وموضوع، أما المتن فيرده قول الله تعالي: { وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ } [الشعراء: ٢١٩] حيث جاء في تفسير روح المعاني: أن النبي تقلب في أصلاب الأنبياء حتي ولدته أمه طاهر المعتقد موحداً ما سجد لصنم قط، وبها أي: الآية استدل جل من أهل السنة علي إيمان أبويه، ويرد قول الضحاك الأنف حديث العر باض بن سارية الذي فيه قال

**أو المقصود الذنب بعد البعثة وهو في حق الأنبياء ترك للأفضل مع وجود الفاضل، فيكون المعنى كمعنى قوله – تعالى –: { لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ } [الفتح: ٢].**

**وبهذا نحا أبو المظفر السمعاني(١)، وابن كثير(٢)، والشيخ أبو بكر الحداد اليمني(٣) هذا النحو في صرف النص القرآني عن ظاهره .**

**٢- المقصود من { وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ } كناية(٤)عن العصمة أي: عصمناك عن الوقوع في الذنوب والمعاصي أي: حططنا عنك الذنوب فهي لا تحصل منك، وبه قال أبو حيان وعبارته:" { وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ }: كِنَايَةٌ عَنْ عِصْمَتِهِ مِنَ الذُّنُوبِ وَتَطْهِيرِهِ مِنَ الْأَدْنَاسِ، عَبَّرَ**

---

رَسُولُ اللهِ – ﷺ –: " إِنِّي عَبْدُ اللهِ لَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَمَ – عليه السلام – لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ، وَسَأُنَبِّئُكُمْ بِأَوَّلِ ذَلِكَ دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبِشَارَةُ عِيسَى " .

وغاية القول: إن تلك الرواية باطلة جملة وتفصيلاً فيا ليت الطبري نبه على بطلانها وفسادها فأراحنا واستراح. [ طالع: تفسير الطبري: ٤٩٤/٢٤، ورجال تفسير الطبري جرحاً وتعديلاً من تحقيق جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأحمد شاكر ومحمود شاكر، جمع وترتيب: محمد صبحي حسن حلاق، ص ١٤٤، ط: دار ابن حزم، ط: الأولي ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م، وأسانيد نسخ التفسير والأسانيد المكررة في التفسير جمعاً ودراسة، تأليف: د/ عطية = = ابن نوري آل خليفة الفقيه، ص١٦٦، ١٦٧، ط: كنوز أشبيليا للطبع والنشر، ط: الأولى١٤٣١هـ٢٠١٠م، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ١٣٥/١٠، ومسند الإمام أحمد بن حنبل: ٣٧٩/٢٨، وهامش ١ ص ٣٨٠، ط: مؤسسة الرسالة، ط: أولي ١٤٢١هـ ٢٠٠١م، حيث حكم محققه الشيخ/ شعيب الأرناؤوط ، وآخرون علي الحديث بأنه: صحيح لغيره .

(١) تفسير القرآن للإمام أبي المظفر السمعاني: ٢٤٩/٦، تح: أبي تميم ياسر ابن إبراهيم، وأبي بلال غنيم بن عباس بن غنيم، ط: دار الوطن، ط: الأولي ١٤١٨هـ ١٩٩٧م .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٥٢٤/٤، ط: دار إحياء الكتب العربية .

(٣) تفسير الحداد كشف التنزيل في تحقيق المباحث والتأويل للشيخ/ أبي بكر الحداد اليمني: ٢٣٧/٩، تح: د/ محمد إبراهيم يحيي، ط: دار المدار الإسلامي، ط: الأولي ٢٠٠٣م .

(٤) الكناية: هي ما يقابل التصريح، والمراد بها هنا: لفظ أريد به لازم معناه كقولهم: فلان جبان الكلب مهزول الفصيل، فلازم المعني الكناية عن الكرم . [ ينظر: موجز البلاغة للطاهر بن عاشور، ص ٤٢، ط: أضواء السلف، ط: الأولي ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م ] .

عَنْ ذَلِكَ بِالْحَطِّ عَلَى سَبِيلِ الْمُبَالَغَةِ فِي انْتِفَاءِ ذَلِكَ، كَمَا يَقُولُ الْقَائِلُ: رَفَعْتُ عَنْكَ مَشَقَّةَ الزِّيَارَةِ، لِمَنْ لَمْ يَصْدُرْ مِنْهُ زِيَارَةٌ، عَلَى طَرِيقِ الْمُبَالَغَةِ فِي انْتِفَاءِ الزِّيَارَةِ مِنْهُ "[1]، وتمثل بهذا القول الإمام فخر الدين الرازي[2] .

٣- الوزر هنا على المعنى اللغوي للكلمة وهو الحمل الثقيل، قال ابن قتيبة: " أصل الوزر: ما حمله الإنسان على ظهره، فشبّه الإثم بالحمل فجعل مكانه"[3]، فيكون المعنى: وحططنا عنك أعباء النبوة وأثقال الرسالة وهمومها التي أثقلت ظهرك [4] .

**والذي تميل إليه النفس**: هو المعنى اللغوي؛ لأن النبي – ﷺ – معصوم من الذنب قبل البعثة وبعدها على قول أهل السنة فلا يليق حمل الآية على الذنب إلا إن كان المقصود من الذنب ترك الأفضل مع الإتيان بالفاضل وهو في حقه – ﷺ – أمر عظيم وجلل أنقض ظهره لشدة معرفته بالله تعالى فهو يرى أي سهو منه أو خلاف للأولى ذنباً عظيماً بجنب قدر الله العظيم –ﷻ–.

أما المعنى الثاني فلا أراه يستقيم مع قول الله: { الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ } [الشرح: ٣] لأن العصمة تعني عدم حصول الذنب وعدم وقوع الوزر وقوله– تعالى –: { أَنْقَضَ ظَهْرَكَ } يفيد حصول أمر ما ووقوعه .

أما المعنى الثالث فهو الذي يرتاح اليه القلب وهو الحمل الثقيل الذي كاد يكسر ظهر النبي – ﷺ – من هموم الرسالة وإرادته هداية الناس وحرصه البالغ الشديد على أمته فيكون الوزر هنا محمول على المعنى

---

(١) البحر المحيط في التفسير: ١٠/٥٠٠ .
(٢) التفسير الكبير: ٣٢/٢٠٦ .
(٣) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة الدينوري، ص ٩١، تح: إبراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، وطالع: مجمل اللغة لابن فارس: ١/٩٣٤، مادة (و ز ر)، تح: زهير عبد المحسن سلطان، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: ثانية ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م .
(٤) ينظر: محاسن التأويل للقاسمي: ٩/ ٤٩٤ بتصرف .

اللغوي للكلمة وهو الحمل الثقيل[1]، قال الدكتور محمد سيد طنطاوي في هذا الشأن: "فليس الوزر الذي كان ينقض ظهره، ذنبا من الذنوب ... ولكنه كان هما نفسيا يفوق ألمه، ألم ذلك الثقل الحسي ... فلما هداه الله – تعالى– إلى إنقاذ أمته من أوهامها الفاسدة ... كان ذلك بمثابة رفع الحمل الثقيل، الذي كان ينوء بحمله، لا جرم كانت هذه الآية واردة على سبيل التمثيل، واقرأ إن شئت قوله – تعالى– : { وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِما يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ } [الحجر: ٩٧-٩٩]

ويبدو لنا أن هذا القول هو الأقرب إلى الصواب؛ لأن الكلام هنا ليس عن الذنوب التي ارتكبها النبي – ﷺ – قبل البعثة – كما يرى بعض المفسرين – وإنما الكلام هنا عن النعم التي أنعم بها – سبحانه – عليه والتي من مظاهرها: توفيقه للقيام بأعباء الرسالة، وبإقناع كثير من الناس بأنه على الحق، واستجابتهم له – ﷺ – [2] .

**اللطيفة السابعة: في التعبير بـ { وِزْرَكَ } مضافاً بدلاً من التعبير بالوزر:**

إن التعبير بـ { وِزْرَكَ } مضاف إلي الرسول – ﷺ – في الآية التي نسير في نسقها بدلا من التعبير ووضعنا عنك الوزر يوحي بجمال المنة والفضل وقمة التكرم من الله لنبيه في الاهتمام به في رفع الحمل الثقيل الذي كاد يكسر ظهر النبي – ﷺ – من هموم الرسالة وإرادته هداية الناس وحرصه البالغ الشديد على أمته، وأنه – ﷺ – في دائرة العناية الإلهية مكرم عند ربه عظيم القدر، ثم تدبر أيها القارئ وتفكر معي قليلاً واقرأ السورة من أولها: بسم الله الرحمن الرحيم { أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ } [الشرح: ١-٤] تجد أن الفاصلة التي تنتهي بها الآيات الثلاث بحرف الكاف قبلها الراء فتجد من حلاوة التناغم وجمال التناسق وبراعة الإيقاع علي أذن

---

(١) راجع: مقال الأستاذ/ ماهر محمد بركات، بعنوان: (ووضعنا عنك وزرك) علي منتدي الأصلين علي الشبكة العنكبوتية (النت) www.aslein. net

(٢) التفسير الوسيط: ١٥/٤٣٨، وتفسير جزء عم للشيخ/ محمد عبده، ص ٨٧.

السامع والقارئ مالا تجده إذا جاء لفظ { وِزْرَكَ } بلفظ الوزر فحقاً كلام جل من أكسبه حلاوة وتلاؤماً وسبكاً محكماً في آياته وفواصلها وتناسقاً عجيباً معجزاً تندق دونه أعناق البلغاء فتأمل.

## المطلب الرابع

## لطائف قول الله - تعالى -: { الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ}

## [ألم نشرح: ٣]

### اللطيفة الأولي: السر في اصطفاء اسم الموصول:

المتأمل لجملة: { وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ }[الشرح: ٢] وجملة: { الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ} يجد تناسباً وجمالاً في الربط بين الجملتين تجلي ذلك في اسم الموصول {الَّذِي} صدر جملة الصفة الذي هو أعرف وأخص من غيره من أسماء الموصلات كـ(من) و(ما) فكأن الوزر الذي رفع وحط عن ظهر النبي وزر ثقيل ومخصوص والله عليم به وسيق اسم الموصول الذي أيضاً ليرفع الإبهام عن لفظ { وِزْرَكَ } فكأن سائلا سأل: ما هو الوزر الذي رفع عن النبي – ﷺ – ؟ فجاءت جملة: {الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ} ترفع هذا الإبهام وتجيب علي السؤال وهذا من البلاغة بمكان.

قال عبد القاهر الجرجاني في هذا السياق: "اعلم أنَّ لك في {الَّذِي} عِلماً كثيراً، وأسراراً جمَّةً، وخفايا إذا بحثْتَ عنها وتصوَّرْتَها أطَّلَعْتَ على فوائدَ تُؤنِسُ النفسَ، وتُثلِجُ الصدرَ، بما يُفْضي بكَ إليه منَ اليقين، ويُؤدِّيه إليكَ من حُسْن التَّبيين.

والوجْهُ في ذلك أنْ تتأملَ عباراتٍ لهمْ فيه لِمَ وُضِعَ، ولأيِّ غرَضٍ اجْتُلِبَ، وأشياءَ وصَفُوه بها. فمن ذلك قولهم: إن { الَّذِي } اجْتُلِبَ ليكونَ وصْلَةً إلى وصْفِ المعارفِ بالجُمل، كما اجتُلِب (ذو) ليُتَوصَّل به إلى الوصْف بأسماءِ الأجناس، يعنون بذلك أنك تقولُ: (مررتُ بزيدٍ الذي أبوه منطلِقٌ) و(الرجل الذي كان عندنا أمسي)، فتجدك قد توصلت بـ (الذي) إلى

أن أَبَنْتَ زيداً مِنْ غَيره، بالجملة التي هو قولُك: (أبوه منطلِقٌ)، ولولا (الذي)لم تَصِلْ إلى ذلك "[1].

**اللطيفة الثانية: روعة التجسيم[2] في قوله تعالي: {الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ} [ألم نشرح: ٣]**

ونسبح بك أيها القارئ في بحر بلاغة ذاك النص القرآني الماتع فتأتينا الروعة الخلابة والبلاغة العالية الكامنة في أسلوب التصوير والتجسيم فالقرآن الكريم جَسَّم الهم النفسي للنبي – ﷺ – تجاه الرسالة وتبليغها قومه من المشركين، وحرصه الشديد علي هدايتهم ذلك الهم الذي يفوق ألمه، ألم ذلك الثقل الحسي جسمه وشبهه بالحمل الثقيل، الذي ينوء بحمله ويكاد يكسر ظهره من حمله بجامع المشقة علي طريقة الاستعارة وجمال ترشيحها الكامن في لفظة وضعنا من الآية المتقدمة، ولا ريب أن الاستعارة تبرز المعاني المجردة إلي صور محسوسة وملموسة تؤثر في القارئ والسامع علي السواء وهذا من أعظم فوائدها وخصائصها الباهرة، قال عبدالقاهر الجرجاني عند عرضه لخصائص الاستعارة: " إن شئت أرتك

---

(١) كتاب دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني، ص ١٩٩،

(٢) التجسيم لغة واصطلاحاً: تدلُّ مادة (ج س م) على الظهور والبروز، تشهد بذلك معاجم اللغة التي استقصت هذه المادة وما اشتق منها، فالتجسيم من الجسم، والجسم: جماعة البدن أو الأعضاء من الناس والإبل والدواب إلى غير ذلك من الأنواع العظيمة الخلق، والجسم: الجسد، وجَسُم الشيء: عَظُمَ، فهو جسيم وجُسام، والجسيم: ما ارتفع من الأرض وعلاه الماء، والأجسم: الأضخم.

وأما التجسيم في الاصطلاح: فهو إضفاء الصفات الحسيِّة على المدركات المعنوية والذهنية والحالات النفسية، لإبرازها أجساماً ومحسوسات مثلما جاء في قوله– تعالى –: { بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ } [الأنبياء: ١٨]، فجسَّم الحقَّ والباطل – وهما معنويان – وكأنَّ الحقَّ جسمٌ قاتل ينزلُ من مكانٍ عالٍ ليمحقَ الباطل ويودي به، ومنها: (الشك) في قوله – تعالى–: {بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ } [الدخان: ٩]، فجسَّم القرآن الشك – وهو أمر عقلي –، إذ جعله ساحة للعب أولئك المشركين واستهزائهم بدين الله الحنيف ورسالة نبيه الأمين محمد تصويرا لعظم شكِّهم من جهة، وتبيانا لخسارهم من جهة أخرى، ذلك بأنَّ اللاعب فيما لا يصحُّ اللعب فيه عابث، والعابث خاسر. [راجع: لسان العرب. مادة (ج س م): ٩٩/١٢، دار صادر، بيروت، ط:الأولى، وراجع بحث: التجسيم في التعبير القرآني، د/ عقيل الخاقاني، ص ٦ وما بعدها، كلية الآداب، جامعة الكوفة، بدون طبعة ] .

**المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل، كأنها قد جُسِّمت حتى رأتها العيون"[١]، فتعدُّ استعارة (الأوزار) للآثام والهموم من الصور البيانية الموحية والمؤثرة التي تقوم على التجسيم[٢] كما أوضحنا آنفا، ومن جمال النص أيضاً أنه حوي مجازاً عقلياً [٣] في إسناد النقض إلي الوزر الذي هو بمعني الهم النفسي فجاء المجاز العقلي قمة في المبالغة المقبولة، وأكسب النص القرآني إيجازاً يأخذ بشغاف القلوب ثم اصطفاء لفظة الظهر الذي هو أقوي أعضاء الجسم في النص القرآني له مغزى عظيم؛ لأنه إذا وهن الظهر من قوة الحمل والهم فغيره من الأعضاء أوهن[٤].**

**ولا يغيب عن قارئ أن النفوس العالية تعلو همومها فعلي قدر أهل العزم تأتي العزائم فالنبي – ﷺ – عالي الهمة والمقام، فلذا كبرت همومه ومن ثم جاء ذاك النظم المبارك بهذا الوصف الذي أنقض ظهرك ثم لا ريب أن إضافة الظهر له – ﷺ – من باب اهتمام الحق به ولأجل توافق فواصل الآيات وتعجبني كلمة لابن عجيبة في هذا المقام، فقال ما مفاده: " { الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ } أي: أثقله حتى سمع له نقيض، وهو صوت الانتقاض، أي: خففنا عنك أعباء النبوة والقيام بأمرها، ... فكلما علا المقام طُولب صاحبه بشدة الأدب، فكأنه – ﷺ – خاف ألاّ يكون قام بحق المقام الذي أقامه الحق فيه، فاهتمّ من أجله، وجعل منه حملاً على**

---

(١) أسرار البلاغة، ص ٤٣، الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة.

(٢) الاستعارة استعارة تمثيلية، حيث شبهت همومه – ﷺ – تجاه الرسالة وتبلغها بحمل ثقيل يرهق الكاهل حتى انه تُسمع لعظام ظهره فرقعة وصوت. وقوله: {ووضعنا} ترشيح لهذه الاستعارة البديعة التي صورت أثر ذلك الهم على نفسه الشريفة، تلمس ذلك في قوله: {أَنْقَضَ} فالانقضاض صوت المفاصل، وصوت صرير الرحل والمحمل، وقد قامت الاستعارة على حاسة السمع، ولنتأمل كيف تعاونت الحروف بمخارجها في إبراز أثر الهم النفسي للنبي – ﷺ –، واقرأ قوله: {أَنْقَضَ ظَهْرَكَ} وتأمل تعاقب حرفي الضاد والظاء وهما متقاربا المخرج، فمخرج الضاد حافة اللسان، ومخرج الظاء طرف اللسان مع صفحة الثنايا العليا، ثم حاول النطق بهما مرات عدة: {أَنْقَضَ ظَهْرَكَ} {أَنْقَضَ ظَهْرَكَ} {أَنْقَضَ ظَهْرَكَ} ألا تحس شيئا من ثقل لسانك ؟ أظن ان هذا الثقل في النطق جاء متجاوباً بل ومحاكياً لمعناه أتم المحاكاة، فالهم قد أثقل الظهر، حتي كاد أن يوهن ظهر النبي– ﷺ – وثقل على اللسان حتى يكاد يتلعثم في النطق بها، نشأ من تداخل مخرج الحرفين، وهذا وربي مما لا يخل بفصاحة الآية أو بلاغتها بلاغتها، بل هو آية اعجازها، لكون كلماتها بحروفها مخارجها من الكلمات الواصفة الكاشفة لمعناها. [ينظر: محاسن التأويل للقاسمي: ٤٩٤/٩ بتصرف كبير].

(٣) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور: ٤١٠/١٥ .

(٤) تفسير القرآن الكريم جزء عم للشيخ/ مجمد بن صالح العثيمين، ص ٢٤٨، ط: دار الثريا للنشر، ط:الثالثة ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م .

ظهره، فأسقطه الحق تعالى عنه،وبشّره بأنه مغفور له ومعان على الإطلاق؛ ليتخلّى من ذلك الاهتمام"[1].

## المطلب الخامس

## لطائف قول الله- تعالى -: { وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ }

## [ألم نشرح:٤]

**اللطيفة الأولي: جمال التقديم لقوله تعالي: { أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ} [ألم نشرح: ١-٣ ]**

لاريب أن ترتيب الآيات والكلمات في القرآن العظيم لم يأت سدي بل جاء وفق منهج دقيق يدرك حلاوته وفحواه كل من قرأه وسمعه فتقديم لفظ (إياك)علي (نعبد) لمغزى أدرك حلاوته أهل البلاغة وغيرهم ممن له ذوق سليم فقال البلاغيون التقديم للاختصاص أي: الله هو المختص بالعبادة وحده فلذا قدم[2]، ثم انظر بفهم في جمال تقديم آية شرح الصدر ووضع الوزر علي آية رفع الذكر فسر التقديم وجماله من باب تقديم التخلية علي التحلية بمعني لما خلى النبي- ﷺ - بشرح صدره شرحاً معنوياً وحسياً ليعده ربه لتحمل الرسالة ووضعه عنه الهم النفسي تجاه الرسالة وتبليغها قومه من المشركين وغيرهم حلاه برفع ذكره في الأرض والسماء فما أجمل التقديم المتلائم مع سياق الآيات وما أروع ذلك الترتيب الذي يأخذ بشغاف القلوب ويبهر فرسان البلاغة والفصاحة![3] .

**اللطيفة الثانية: السر في التعبير برفعنا في قول الله: { وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ } [الشرح: ٤]:**

القرآن الكريم تعبير بياني مقصود أي: أن كل كلمة وكل حرف فيه وُضع وضعاً مقصوداً فليس لأي أحد مهما بلغ من البلاغة والفصاحة ما بلغ

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لابن عجيبة: ٣٢٢/٧ بتصرف يسير.
(٢) راجع: خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني للدكتور/ محمد محمد أبي موسي، ص ٣٢٩، الناشر: مكتبة وهبة، ط: الثامنة ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م .
(٣) راجع: روح المعاني للآلوسي: ٣٨٩/١٥، وكتاب ليدبروا آياته المجموعة الثانية، تأليف: مجموعة من علماء سعوديين، ص٢٧٤، ط: دار الحصار للنشر والتوزيع، ط: الأولي١٤٣٢هـ٢٠١١م .

أن يقول ولو عبر القرآن بغير ذلك لكان أحسن فالأحسن والأفصح والأبلـــغ هو ما جاء به القرآن وعبر به وتعال أيها القارئ نريك لقطة مـــن لقطـــات البيان الأعلى ذلكم البيان القرآني فمن بيانه الثاقب وعباراته البالغة أقصي درجات الفصاحة والبلاغة عبارة أو كلمة "أكله" في الآية الكريمة: { وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ} [يوسف: ١٧].

يقول الخطّابي: " فإن الافتراس معناه في فعل السّبع القتـــل فحســـب، وأصل الفرس دقّ العنق، والقوم إنّما ادّعوا على الذئب أنّه أكله أكلا، وأتى على جميع أجزائه وأعضائه، فلم يترك مفصلًا ولا عظمًا، ذلك؛ لأنهم خافوا مطالبة أبيهم إيّاهم بأثر باق منه يشهد بصحّة ما ذكروه فادعوا فيه الأكـــل ليزيلوا عن أنفسهم المطالبة، والفرس لا يعطي تمام هذا المعنى، لم يصـــح على هذا أن يعبر عنه إلا بالأكل "(١) .

فالناقدون يرون الصّحة في «افترسه» الذّئب، والخطّابي يرى أنّ البيان القرآني لا يتّســـم بالزّلل والفوضى في إلباس المعاني بالألفاظ، فالفعل أكـــل يدلّ على إخفاء آثار الجريمـــة، وخصوصية الموقف تتطلّب هذا الفعـــل لا غيره (٢).

فمما لا ريب فيه أن التعبير ب" رفعنا "هنا في الآية التي معنـــا حـــاز السبق والدقة والسمو البلاغي والبياني فلم يعبر القرآن بلفظ ونشرنا لـــك ذكرك ولا وعممنا لك ذكرك؛ لأن الشيء قد ينتشر أو يعم ولا يـــدل علـــي علـــو مكانته أما دلالة رفعنا فتدل علي علو عظيم للمرفوع يدركـــه أهـــل السماء والأرض والنبي- ﷺ – قد رفعه ربه الذي ربـــاه فأحســـن تربيتـــه وأعلا من قدره ومقداره، وأكسبه فضلاً ومنزلة أدركهـــا وأبصـــرها أهـــل

(١) بيان إعجاز القرآن مطـــبوع ضمن: ثلاث رســـائل في إعجـــاز القرآن للإمام أبـــي سليمان أحمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطـــابي، ص٤١، تح: محمد خلف الله، د/ محمد زغلول سلام، الناشر: دار المعارف بمصر، ط: الثالثة ١٩٧٦م .

(٢) جماليات المفردة القرآنية للأستاذ/ أحمد ياسوف، ص ٢٨٤، الناشـــر: دار المكتبـــي، دمشق، ط: الثانية ١٤١٩هـــ ١٩٩٩م .

**السماء والأرض وكفي بالإسراء والمعراج دليلًا قاطعاً وحجة دامغة لمن أنكر فلقد أمَّ الأنبياء وصلي بهم وقرب من ربه قرباً دل علي علو منزلته ورؤيته – ﷺ – لربه كما جاء في التنزيل: { مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى } [النجم: ١١]**(١) .

**هذا وقد ذكر ابن القيم أن في التعبير القرآني في قوله – تعالى –: { سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ } [الإسراء: ١] دون بعث بعبده وأرسل به ما يفيد مصاحبة الله له – ﷺ – في مسراه فإن الباء هنا للمصاحبة مثل قولهم هاجر بأهله وسافر بغلامه وليست للتعدية فإن أسرى يتعدى بنفسه يقال سري به وأسراه وهذا لأن ذلك السُّري كان أعظم أسفاره والسفر يعتمد الصاحب ولهذا كان – ﷺ – إذا سافر يقول اللهم أنت الصاحب في السفر** (٢)(٣).

**ثم قال ابن القيم– رحمه الله– في هذا السياق: "تأمل كرامة الرسول بالإسراء كانت كرامة مفاجأة من غير ميعاد ليحمل عنه ألم الانتظار ويفاجأ بالكرامة بغتة وكرامة موسى بعد انتظار أربعين ليلة "**(٤).

**فانظر معي أيها القارئ مدي المنزلة والكرامة العظمي لنبينا – ﷺ – وتدل لفظة "رفعنا" أيضاً علي أن ذلك الرفع رفع مخصوص وليس رفعاً عادياً وعلو شأن فريد لم ينله أحد من قبل لا ملك مقرب ولا نبي مرسل،**

---

(١) الصحيح كما قال الخطيب الشربيني، وحاصل المسألة: أنّ الصحيح ثبوت الرؤية أي: رؤية النبي لربه في معراجه وهو ما جرى عليه ابن عباس حبر الأمّة، وهو الذي يرجع إليه في المعضلات، وقد راجعه أبو عمرو فأخبره أنه رآه ولا يقدح في ذلك حديث عائشة، لأنها لم تخبر أنها سمعت من رسول الله – ﷺ – أنه قال لم أر وإنما اعتمدت على الاستنباط مما تقدم وجوابه ظاهر، فإنّ الإدراك هو الإحاطة والله تعالى لا يحاط به وإذا ورد النص بنفي الإحاطة لا يلزم منه نفي الرؤية بغير إحاطة . [راجع: السراج المنير: ٨٢/٤ ] .

(٢) هذا جزء من حديث أخرجه الإمام مسلم بسنده إلي ابن عمر – رضي الله عنهما –، باب: ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره. راجع: صحيح مسلم: ٩٧٨/٢، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت

(٣) بدائع الفوائد للإمام ابن قيم الجوزية، ص ٤٧٨، ط: دار الكتاب العربي.

(٤) المرجع نفسه .

وأنه- ﷺ - قد رفعه ربه وهو عظيم القدر والمكانة وليس رفعاً عن وضع حاشا وكلا فهو - ﷺ - ذو مكانة عالية وشرف عال بدليل مجيء النظم القرآني بلفظة ذكرك بعد رفعنا في قوله تعالي: { وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ} [الشرح: ٣] فالذكر هنا هو الشرف والثناء الحسن كما نطق بذلك القرآن {وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ } [الزخرف: ٤٤][١]، والمعني: رفعناك وأنت شريف عالي وحسن ذكرك قد ملأ العالمين في السموات والأرضيين فأنت محمود الذكر في كل وقت وحين[٢] .

ومن دلالة لفظة " رفعنا " أن الرفع يكون حسياً ومعنوياً وتحقق ذلك للنبي- ﷺ - فالرفع الحِسِّيُّ له - ﷺ - فِي الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ، وَفِي الْخُطَبِ عَلَى الْمَنَابِرِ وَافْتِتَاحِيَّاتِ الْكَلَامِ فِي الْأُمُورِ الْهَامَّةِ، وأما الرفع المعنوي له - ﷺ - فِي كُتُبِ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ، حَتَّى عُرِفَ لِلْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ قَبْلَ مَجِيئِهِ[٣].

فانظر كم حوت لفظة (رفعنا)علي دلالات كثيرة وارفة الظلال فنعم التعبير ما عبر به القرآن حقاً إنه لتنزيل من حكيم حميد .

**اللطيفة الثالثة: السر في ذكر { لك } في قول الله: {وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ } [الشرح: ٤]:**

اللفظ في القرآن الكريم يأتي لمعاني عالية سواء أكان اسماً أم فعلاً أم حرفاً ولفظ لك سيق لمعني وجاء لسر عظيم وهو التعجيل في البشارة للنبي- ﷺ - والتشويق إلي لفظ ذكرك وإبراز مدي الاهتمام به - ﷺ - في مقام الامتنان والتكرم، وقد أشار الزمخشري لذلك المعني حيث قال: " فإن قلت: أي فائدة في زيادة (لك) والمعنى مستقل بدونه ؟ قلت: في زيادة (لك) ما في طريقة لإبهام والإيضاح، كأنه قيل: ألم نشرح لك، ففهم أن ثم

---

(١) راجع: أساس البلاغة للزمخشري، ص ٢٠٥، ط: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط:الأولي ١٤٢٦هـ ٢٠٠٦م .

(٢) ينظر: التفسير الوسيط، للدكتور/ وهبه الزحيلي: ٢٨٩٥/٣ بتصرف، ط: دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ودار الفكر، دمشق، ط: الثانية ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م .

(٣) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي: ٥٧٧/٨، ٥٧٨، ط: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ١٤١٥هـ ١٩٩٥م .

مشروحا، ثم قيل: صدرك، فأوضح ما علم مبهما، وكذلك (لَكَ ذِكْرَكَ) و(عَنْكَ وِزْرَكَ) " [1] .

قلت: لا ريب أن ذلك مما تفرد به القرآن العظيم في إعجازه وبلاغته في التنصيص علي ألفاظ تزيد السياق جمالاً واتساقاً وتجعله من الحسن بمكان.

**اللطيفة الرابعة: دلالات وأحكام في قوله – تعالي –: { وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ } [الشرح: ٤]:**

لقد استنبط أهل العلم من قوله تعالي: { وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ } دلالات وأحكام ومن تلك الدلالات:

١ – أن المتبع لرسول – ﷺ – والمستمسك بسنته والمدافع عنها لهو رفيع الشأن عالي الذكر وله نصيب وحظ من متبوعه وهو النبي – ﷺ –؛ لأن النبي مرفوع الذكر فكذا من اتبعه بإحسان ولازم سنته ونافح عنها ضد كل متطاول عليها لهو مرفوع الذكر منشرح الصدر والفؤاد له صيت حسن في السماء والأرض يوضع له الهيبة والقبول بين الناس.

ولا ريب أن أهل السنة هم أكثر الناس اتباعاً لنهج النبي وسنته فهم أكثر الناس عند الله رفعة ومنزلة وأرفعهم ذكراً من غيرهم من أهل البدع كالشيعة والمعتزلة وغيرهم ولهذا يحيي الله ذكر من اتبعه – ﷺ – ويجعله منشرح الصدر ومرفوع القدر ويميت الله ذكر من خالف سنته – ﷺ – وحاربها ويجعله صدره مقبوضاً وضيقاً وخامل الذكر وضيعاً لا قبول له في الأرض ولافي السماء.

قال ابن تيمية – رحمه الله – في هذا المقام: " وقوله: { إِنَّ شَانِئَكَ } [الكوثر: ٣]، أي: مبغضك. والأبتر: المقطوع النسل، الذي لا يولد له خير ولا عمل صالح، فلا يتولد عنه خير، ولا عمل صالح. قيل لأبي بكر ابن عياش: إنَّ بالمسجد قومًا يجلسون ويجلس إليهم، فقال: من جلس للناس، جلس الناس إليه. ولكن أهل السنة يموتون، ويحيي ذكرهم، وأهل البدعة يموتون ويموت ذكرهم؛ لأن أهل السنة أحيوا ما جاء به الرسول – ﷺ –

---

(١) الكشاف للزمخشري: ٤/٧٧٠، ٧٧١ .

فكان لهم نصيب من قوله: { وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ } [الشرح: ٤]، وأهل البدعة شنأوا (١) ما جاء به الرسول – ﷺ –، فكان لهم نصيب من قوله: { إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ } فالحذَرَ الحذر أيها الرجل، من أن تكره شيئًا مما جاء به الرسول – ﷺ –، أو ترده لأجل هواك، أو انتصارًا لمذهبك أو لشيخك، أو لأجل اشتغالك بالشهوات، أو بالدنيا، فإن الله لم يوجب على أحد طاعة أحد إلا طاعة رسوله، والأخذ بما جاء به، بحيث لو خالف العبد جميع الخلق، واتبع الرسول ما سأله الله عن مخالفة أحد، فإن من يطيع أو يطاع، إنما يطاع تبعًا للرسول، وإلا لو أمر بخلاف ما أمر به الرسول، ما أطيع . فاعلم ذلك واسمع، وأطع واتبع، ولا تبتدع، تكن أبتر مردودًا عليك عملك، بل لا خير في عمل أبتر من الاتباع، ولا خير في عامله والله أعلم " (٢) .

٢– أن النبي – ﷺ – عالي القدر عند ربه ممنوع الجانب من أن ينال منه أحد من سيرته العطرة ومقامه الكريم وكل من حارب النبي أو أذاه قديماً أو حديثاً فما هو إلا جاهل أعمي القلب منطمس البصيرة فاقد الخير منتكس الفطرة وكل عمله وجرمه مردود عليه فرسول الله حفظه الله وصانه وأعلي ذكره في العالمين وشرف قدره في السابقين واللاحقين وفي كل وقت وحين قال القاضي عياض – رحمه الله –: " لا خفاء على من مارس شيئا من العلم، أو خص بأدنى لمحة من الفهم بتعظيم الله قدر نبينا – ﷺ – وخصوصه إياه بفضائل ومحاسن ومناقب لا تنضبط لزمام وتنويهه من عظيم قدره بما تكل عنه الألسنة والأقلام، فمنها ما صرح به تعالى في كتابه ونبه به على جليل نصابه، وأثنى به عليه من أخلاقه وآدابه، وحض العباد على التزامه وتقلد إيجابه: فكان جل جلاله هو الذى تفضل وأولى. ثم طهر وزكى، ثم مدح بذلك وأثنى، ثم أثاب عليه الجزاء الأوفى، فله الفضل

---

(١) أي: بغضوا وكرهوا. [ راجع: مادة (ش ن أ)، ص ١٤٦، في مختار الصحاح لأبي بكر الرازي، ط: مكتبة لبنان ١٩٩٣م ] .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية:١٦ / ٥٢٨، ٥٢٩، دراسة وتحقيق: عبد الرحمن ابن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية ١٤١٦هـ١٩٩٥م .

بدأ وعودا، والحمد أولى وأخرى، ومنها ما أبرزه للعيان من خلقه على أتم وجوه الكمال والجلال، وتخصيصه بالمحاسن الجميلة والأخلاق الحميدة والمذاهب الكريمة والفضائل العديدة وتأييده بالمعجزات الباهرة والبراهين الواضحة والكرامات البينة: التي شاهدها من عاصره، ورآها من أدركه، وعلمها علم يقين من جاء بعده، حتى انتهى علم حقيقة ذلك إلينا، وفاضت أنواره علينا – ﷺ – كثيراً " (١).

٣- استدل الفقهاء بهذه الآية على وجوب الصلاة عليه – ﷺ – في الخطبة وصلاة الجنازة، واستحبابها عقب التلبية(٢) .

**قلت:** أخذ أهل العلم من قول الله: { وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ }[الشرح: ٤] الذي يعني أن الله رفع ذكر النبي وجعل له الثناء الجميل في الأرض والسماء بأنه ليس من الرياء قصد اشتهار النفس بالعلم لطلب الاقتداء بل هو من أعظم القربات وحضاً على نشر العلم ليبقى بعد موت الإنسان لتكثير النفع وقال العلماء ينبغي للعابد السعي في الخمول والعزلة لأنهما أقرب إلى السلامة وللعالم السعي في الشهرة والظهور تحصيلا للإفادة ولكنه مقام كثير الخطر فربما غلبت النفس وانتقل الإنسان من هذا المعنى إلى طلب الرئاسة وتحصيل أغراض الرياء ولذا ينبغي لطالب العلم أن يحسن ظاهره وباطنه وسره وعلانيته وأفعاله وأقواله ويجعل النبي قدوته والإخلاص عمامته فهذا صمام الأمان والله المستعان " (٣).

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفي – ﷺ – للقاضي عياض، ص ٧، ط: الحلبي، ط:الأخيرة ١٣٦٩هـ ١٩٥٠م .

(٢) الإكليل في استنباط التنزيل للسيوطي، ص٢٩٣، تح: سيف الدين عبد القادر الكاتب، دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت١٤٠١هـ ١٩٨١م، الاختيار لتعليل المختار للشيخ عبد الله بن محمود بن مودود الموصلي الحنفي: ١٠١/١، تح: عبد اللطيف محمد عبد الرحمن، دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: الثالثة١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م .

(٣) ينظر: الذخيرة للإمام شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي: ٤٨/١، ٤٩، تح: محمد حجي، الناشر: دار الغرب، بيروت ١٩٩٤م .

**اللطيفة الخامسة: الاختلاف الواقع بين المفسرين في المراد بقوله تعالي: { وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ } [الشرح: ٤] وبيان الرأي الراجح في ذلك:**

**اختلفت رؤي المفسرين في تعيين المراد بقوله تعالي( وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ)**

**إلي عدة أقوال وهاك بيانها:**

**الرأي الأول: حديث أبي سعيد الخدري عن رسول الله – ﷺ – أنه سأل جبريل عن هذه الآية، فقال: "قال الله –ﷻ–: إذا ذُكِرْتُ ذُكِرتَ معي"(١) قال قتادة: فليس خطيب، ولا مُتَشَهِّدٌ، ولا صاحب صلاة إلا يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، وهذا قول الجمهور(٢).**

---

(١) هذا الحديث أخرجه ابن حبان في صحيحه، وأبو يعلي الموصلي في مسنده، والطبري في تفسيره من طريق عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري بلفظه، وإسناده هذا ضعيف لضعف دارج وخاصة في روايته عن أبي الهيثم، قال الذهبي: دراج أبو السمح صاحب أبي الهيثم، قال أحمد وغيره: أحاديثه مناكير، ووثقه ابن معين، وتركه الدارقطني، وقال ابن حجر فيه: صدوق في حديثه عن أبي الهيثم ضعف، وقد حكم بضعف هذا الإسناد الشيخ الألباني، والشيخ شعيب الأرناؤوط، والشيخ عادل بن يوسف العزازي = = وبناءً علي ذلك فقول السيوطي – رحمه الله–: إسناده حسن كما في التحرير والتنوير فيه نظر . [ راجع: صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان لابن حبان البستي: ١٥٧/٨، تح: شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:الثانية ١٤١٤هـ ١٩٩٣م، ومسند أبي يعلي الموصلي:٥٢٢/٢، تح: حسين سليم أسد، الناشر: دار المأمون للتراث، دمشق، ط:الأولى ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م، وتفسير الطبري: ٤٩٥/٢٤، تح: الشيخ/ أحمد شاكر، ط: مؤسسة الرسالة، ط: الأولى ١٤٢٠هـ٢٠٠٠م، والمغني في الضعفاء للذهبي: ١٠٥/١، ١٠٦، بدون طبعة، وتقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني: ٢٠١/١،ط: دار الرشيد بحلب، ط:الأولى ١٤٠٦هـ، وسلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة للشيخ الألباني: ٢٣٠/٤، حديث رقم (١٧٤٦)، دار النشر: دار المعارف، الرياض، السعودية ط: الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩٢م، وهداية المستنير بتخريج أحاديث تفسير ابن كثير للشيخ/ أبي عبد الرحمن عادل بن يوسف العزازي، ص ٥٩٢، ط: المكتبة الإسلامية، ط: أولي ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور: ٤١٢/١٥.

(٢) راجع:زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي: ٤٦١/٤، تح: عبدالرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط: الأولى ١٤٢٢هـ، والتَّفْسِير البَسِيْط للواحدي: ١٢٨/٢٤، الناشر: عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط: الأولى ١٤٣٠هـ، وقول قتادة أخرجه الطبري بإسناد حسن. راجع: تفسير الطبري: ٤٩٤/٢٤، وموسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور،

**الرأي الثاني: ورفعنا لك ذكرك بالنبوة، قاله يحيى بن سلام[١] وأيده الشيخ/محمد عبده[٢] والدكتورة/ عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ[٣].**

**الرأي الثالث: رفعنا لك ذكرك في الآخرة كما رفعناه في الدنيا، حكاه الماوردي[٤].**

**الرأي الرابع: رفعنا لك ذكرك عند الملائكة في السماء[٥].**

**الرأي الخامس: بأخذ الميثاق لك على الأنبياء، وإلزامهم الإيمان بك، والإقرار بفضلك[٦].**

**والذي تميل إليه النفس: أن الأمر عام فكل ما سبق ذكره يدخل في رفع ذكره- ﷺ -؛ لأن اللفظ القرآني يحمل علي العموم ما لم يرد مخصص[٧] ولا يوجد هنا مخصص والحديث المروي في هذا الشأن ضعيف لا يعول عليه كما بينا سابقا ثم لا تعارض بين هذه الأقوال وما دامت الأقوال لا تعارض بينها فحمل رفع الذكر علي العموم هو الأولي منهجاً وسبيلاً .**

**والمعني: أيها الرسول الكريم كما أنعمنا عليك بشرح الصدر ووضع الوزر كذا أنعمنا عليك برفع ذكرك بالنبوة فلا تذكر إلا معي في الصلاة والأذان والخطبة وسائر العبادات ولا يقيل إيمان أي شخص إلا إذا أمن بك ورفعنا شأنك في الأرض والسماء وفي الآخرة ونوهنا بأمر في الكتب السماوية السالفة هذا، وممن نحي إلي ذلك من المفسرين الإمام الرازي**

---

للدكتور/ حكمت بن بشير بن ياسين: ٦٤٧/٤، الناشر: دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة، المدينة النبوية، ط: الأولى١٤٢٠هـ.

(١) زاد المسير: ٤٦١/٤ .

(٢) تفسير جزء عم للشيخ/ محمد عبده، ص ٨٧، ٨٨ .

(٣) التفسير البياني للقرآن الكريم: ١/ ٦٨ .

(٤) تفسير الماوردي(النكت والعيون):٢٩٧/٦، تح: السيد بن عبد المقصود بن عبدالرحيم، دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .

(٥) الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي: ١٠ /٢٣٢ .

(٦) المرجع نفسه.

(٧) تفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه للدكتور/ علي بن سليمان عبيد، ص ١٢٨، ط: مكتبة التوبة، ط: الأولي ١٤١٨هـ .

وعبارته: " أَعْلَمْ أَنَّهُ عَامٌّ فِي كُلِّ مَا ذَكَرُوهُ مِنَ النُّبُوَّةِ، وَشُهْرَتُهُ فِي الأرض والسموات، اسْمُهُ مَكْتُوبٌ عَلَى الْعَرْشِ، وَأَنَّهُ يُذْكَرُ مَعَهُ فِي الشَّهَادَةِ وَالتَّشَهُّدِ، وَأَنَّهُ تَعَالَى ذَكَرَهُ فِي الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ، وَانْتِشَارُ ذِكْرِهِ فِي الْآفَاق، وَأَنَّهُ خُتِمَتْ بِهِ النُّبُوَّةُ، وَأَنَّهُ يُذْكَرُ فِي الْخُطَبِ وَالْأَذَانِ وَمَفَاتِيحِ الرَّسَائِلِ، وَعِنْدَ الْخَتْمِ وَجَعَلَ ذِكْرَهُ فِي الْقُرْآنِ مَقْرُونًا بِذِكْرِهِ: { وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ } [التَّوْبَةِ: ٦٢]، { وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ } [النساء: ١٣]، {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ } [النور:٥٤] وَيُنَادِيهِ بِاسْمِ الرَّسُولِ وَالنَّبِيِّ، حِينَ يُنَادِي غَيْرَهُ بِالِاسْمِ يَا مُوسَى يَا عِيسَى، وَأَيْضًا جَعَلَهُ فِي الْقُلُوبِ بِحَيْثُ يَسْتَطِيبُونَ ذِكْرَهُ وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ: { سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمنُ وُدًّا } [مَرْيَمَ: ٩٦] كَأَنَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: أَمْلَأُ الْعَالَمَ مِنْ أَتْبَاعِكَ كُلُّهُمْ يُثْنُونَ عَلَيْكَ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكَ وَيَحْفَظُونَ سُنَّتَكَ، بَلْ مَا مِنْ فَرِيضَةٍ مِنْ فَرَائِضِ الصَّلَاةِ إِلَّا وَمَعَهُ سُنَّةٌ فَهُمْ يَمْتَثِلُونَ فِي الْفَرِيضَةِ أَمْرِي، وَفِي السُّنَّةِ أَمْرَكَ وَجَعَلْتُ طَاعَتَكَ طَاعَتِي وَبَيْعَتَكَ بَيْعَتِي { مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ } [النِّسَاءِ: ٨٠]، { إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّما يُبَايِعُونَ اللَّهَ } [الْفَتْحِ: ١٠] لَا تَأْنَفُ السَّلَاطِينَ مِنْ أَتْبَاعِكَ، بَلْ جَرَاءَةٌ لِأَجْهَلِ الْمُلُوكِ أَنْ يُنَصِّبَ خَلِيفَةً مِنْ غَيْرِ قَبِيلَتِكَ، فَالْقُرَّاءُ يَحْفَظُونَ أَلْفَاظَ مَنْشُورِكَ، وَالْمُفَسِّرُونَ يُفَسِّرُونَ مَعَانِيَ فُرْقَانِكَ، وَالْوُعَّاظُ يُبَلِّغُونَ وَعْظَكَ بَلِ الْعُلَمَاءُ وَالسَّلَاطِينُ يَصِلُونَ إِلَى خِدْمَتِكَ، وَيُسَلِّمُونَ مِنْ وَرَاءِ الْبَابِ عَلَيْكَ، وَيَمْسَحُونَ وُجُوهَهُمْ بِتُرَابِ رَوْضَتِكَ، وَيَرْجُونَ شَفَاعَتَكَ، فَشَرَفُكَ بَاقٍ إِلَى يَوْمِ القيامة " [1] .

(١) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي: ٣٢ /٢٠٧، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الثالثة ١٤٢٠هـ .

## المطلب السادس

## اللطائف فيقول الله- تعالى - : { فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا }

## [ألم نشرح: ٥]

**اللطيفة الأولي: جمال الربط بالفاء في قول الله الحق: { فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا } [ألم نشرح: ٥]**

القارئ لقول الله – تعالي –: { فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا } قد يرد علي خاطره سؤال: لم جاء النظم القرآني بالفاء في صدر الآية ؟ وهنا نقول: لا يأتي أيحرف سدي في كتاب ربنا العزيز بل يساق لمقصد عظيم وغرض جميل وهو أنه لما كانت جملة فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا لها تعلق شديد بما قبلها المحذوف جيء بالفاء لكي تخبر عنه وتشير إليه وهي الفاء الفصيحة التي تفصح عن كلام مقدر وهذا من الإيجاز بالحذف الذي يزيد الكلام حلاوة وحسنا والإمام الزمخشري هو من كشف عن ذلك الربط الجميل بهذا الحرف المتناغم مع سياق السورة والمتلائم مع مقصودها من التسلية والمواساة للنبي – ﷺ – في المحن التي عايشها في ظلال نزول السورة وهو في مكة من أذي الكفار، وإليك عبارة جار الله الزمخشري: "فإن قلت: كيف تعلق قوله فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً بما قبله؟ قلت: كان المشركون يعيرون رسول الله – ﷺ – والمؤمنين بالفقر والضيقة، حتى سبق إلى وهمه أنهم رغبوا عن الإسلام لافتقار أهله واحتقارهم، فذكره ما أنعم به عليه من جلائل النعم ثم قال: فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً كأنه قال: خوّلناك ما خولناك فلا تيأس من فضل الله، فإن مع العسر الذي أنتم فيه يسراً "(١).

**اللطيفة الثانية: براعة التعبير بـ { إنَّ } و { مع } في: { فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا } [ألم نشرح: ٥]:**

من المعلوم أن حرف "إنَّ" للتوكيد والنصب ويحسُن مجيئها وتزيد النص حسناً وبهاءً إذا كان الإخبار بها في أمر بعيد الوقوع في ظن السامع ولا ريب أن مجيء اليسر بعد العسر أمر مستبعد في نفوس البشر

---

(١) الكشاف: ٤/٧٧١ .

فأراد القرآن الكريم أن يزيل هذا الوهم من نفوس البشر عموماً ويسلي حبيبه النبي – ﷺ – خصوصاً بالتأكيد بـ "إنَّ" في النص القرآني المعجز والمعنى أيها الرسول الكريم ما أنت فيه من ضيق وشدة وأذى من الكفار سيأتي بعده فرج ورخاء فأبشر وقر عيناً بذاك.

ثم لا يغيب عن فطنة لبيب سبك النص القرآني بكلمة" مع" التي هي للمصاحبة إشعاراً بغايةِ سرعةِ مجيءِ اليسرِ كأنَّه مقارنٌ للعسر وفيه زيادة فيال تسلية للنبي– ﷺ – وتقوية للقلوب المؤمنة [1].

فإن قيل: لماذا جاء النص القرآني هنا في سورة الشرح: {إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا} وجاء في سورة الطلاق: {سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا} [الآية:٧]؟

أجيب: بأن { سيجعل } هنا ذكر حالة عسر كما في قوله – تعالى –: { وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ } ليس معه يسر الآن وإنما قُدِر عليه الرزق الآن وهو مُضيّق عليه واليسر سيكون فيما بعد { لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا } [الطلاق: ٧] فهذه حالة واقعة خاصة معيّنة والتوسعة ستكون فيما بعد. ولا يمكن أن تأتي محلها {إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا } فهذه حالة عامة في سورة الشرح للنبي– ﷺ – والمؤمنين بمعنى أن الله – تعالى – إذا قضى عُسراً قضى معه اليُسر حتى يغلبه، فالله تعالى قدّر أنه إذا قضى عُسراً قدّر معه يُسراً.

أما آية سورة الطلاق فهي حالة خاصة ومسألة معينة ولا يصح معها { إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا } لأن الرزق مقدّر ومُضيّق عليه الآن والآية وعد بأن ييسر الله تعالى له فيما بعد. فلا تعارض البتة[2].

---

(١) ينظر: تفسير أبي السعود: ١٧٣/٩.

(٢) راجع: لمسات بيانية لسورتي الانشراح والهمزة للدكتور/ فاضل السامرائي، من موقع منتديات ستار تايمز علي الشبكة العنكبوتية (النت) .

**اللطيفة الثالثة: معنى قول الحق: { فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا } [ألم نشرح: ٥]:**

إذا تقرر ما أخبرناك به أيها الرسول الكريم، من شرح الصدر، ووضع الوزر، ورفع الذكر، فاعلم أنه ما من عسر إلا ويعقبه يسر، وما من شدة إلا ويأتي بعدها الفرج، وما من غم أو هم، إلا وينكشف، وتحل محله المسرة وما دام الأمر كذلك، فتذرع أنت وأصحابك بالصبر، واعتصموا بالتوكل على الله، فإن العاقبة لكم. ففي الآية من تسلية للنبي - ﷺ - ولأتباعه، ومن وعد صادق بأن كل صعب يلين، وكل شديد يهون، وكل عسير يتيسر. متى صبر الإنسان الصبر الجميل، وتسلح بالعزيمة القوية، وبالإيمان العميق بقضاء الله – تعالى– وقدره وأكد – سبحانه – هذه القضية قد تكون موضع شك، خصوصا بالنسبة لمن تكاثرت عليهم الهموم وألوان المتاعب، فأراد– سبحانه– أن يؤكد للناس في كل زمان ومكان، أن اليسر يعقب العسر لا محالة، والفرج يأتي بعد الضيق، فعلى المؤمن أن يقابل المصائب بصبر جميل، وبأمل كبير في تيسير الله وفرجه ونصره [١].

**اللطيفة الرابعة: سر تعريف العسر وتنكير اليسر:**

نهج القرآن الكريم منهجاً فريداً في انتقاء الكلمة القرآنية مراعياً أبعادها في السياق والدلالة، ولذا فالكلمة القرآنية في هذا الإطار تتمتع بكل عناية واهتمام منذ لحظة الانتقاء إلى لحظة التوظيف النصي ومن ضمن أسس الانتقاء؛ التوظيف السياقي للكلمة القرآنية في هيئات النكرة والمعرفة، وما ذاك إلا قصداً لدلالات بعينها وتوظيف الكلمة منكرة أو معرفة إنما يخضع في خصوصيته لمحددات السياق النصي وفنيات التوظيف الجمالي[٢] .

ولا ريب أن التعبير بالعسر معرفاً حاز السبق والإعجاز والتوافق والتلاؤم مع سياق الآية وأضفي جمالاً وبراعة في الدلالة فمقام الآية

---

(١) راجع: التفسير الوسيط ، د/ محمد سيد طنطاوي: ١٥/٤٣٩.

(٢) راجع: جماليات التعريف والتنكير في الكلمة القرآنية للدكتور/ أسامة عبدالعزيز جاب الله، كلية الآداب، جامعة كفر الشيخ، علي موقع شبكة الفصيح لعلوم اللغة العربية علي الشبكة العنكبوتية (النت) .

وسياقها تسلية وتقوية لقلب النبي – ﷺ – وأصحابه فقد كان وهو بمكة وأصحابه في شدة ومشقة وكرب من أذي الكفار ومن ضيق الحال فجاء التعبير القرآني { فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا } [ألم نشرح: ٥] معرفاً العسر للاستغراق الجنس أي: جنس عسر من فقر وشدة وأذى الكفار وضيق الحال فكأنه قال له: مهما يصيبك أيها الرسول الكريم من أي نوع من أنواع العسر سيعقبه فرج ونصر وغنى وسعة حال، فأفاد التعريف للعسر جمالاً وموافقة مع مقام الآية وسياقها في تسليةً وتأنيس، وتطييب لفؤاد النبي وتقويةً لرجائه – ﷺ –.

ثم تنكير اليسر أيضاً له مكانته وسره البليغ حيث أضفي وحلي الجزاء وأحسن المكافأة من الله لنبيه – ﷺ – بأن اليسر الذي يعقب العسر يسر عظيم وكثير وجليل[1] فحسن التنكير هنا حسناً عظيماً وفجر سراً كبيراً وأشعر القارئ بمدي توافق كلمات الآية مع سياقها فما أعظم القرآن وأكثر أسراره وفوائده !

(١) طالع: محاسن التأويل للقاسمي: ٤٧٩/٩ بتصرف .

## المطلب السابع

## لطائف قول اللّه- تعالى -: { إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا }

## [ألم نشرح: ٦]

**اللطيفة الأولي: وقفة مع قول الله { إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا }:**

المتأمل في هذا النص القرآني الذي يفوح منه عبق الراحة والطمأنينة لكل مكروب تحيط به الكروب وضائق الصدر الذي ألمت به المحن والشدائد فحف الله الرحيم بخلقه تلك البشري بوعده الصادق الذي لا يتخلف بفضله وكرمه فلا تحزن أيها العبد ولا تضجر، وتفاءلْ ولا تقنطْ، واحمدِ الله ولا تسخط، وارجُ الله – ﷻ – ولا تيأس، وأحسنْ ظنَّك بربِّك – ﷻ– وانتظر منه كل خيرٍ وجميل، وفعل لطيف جليل. وانظر إلي مدي الكرم الإلهي لنبيه وأمته بتيسير كل عسير وتفريج كل ضائقة ومشقة ونقف مليًا حيال هذا النص القرآني ونمعن في تكراره هل هو من قبيل التأكيد[١] أم التأسيس[٢] ؟ فتعال معي أيها القارئ نستعرض رؤى العلماء والمفسرين في ذاك النص عسي أن نلقى جواباً تستريح إليه النفس ويسكن إليه الفؤاد وإليك جملة آرائهم .

الرأي الأول: إن الآية من باب التكرار لأجل التأكيد كما يقال: ارْم ارْمِ، اعْجَلِ اعْجَلْ، وكقول الله – ﷻ –: { كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ } [التكاثر: ٣، ٤]، ونظيره في تكرار الجواب: بَلَى بَلَى، لا لا؛ وذلك

---

(١) التأكيد أو التوكيد: هو تقوية مدلول ما ذكر بلفظ آخر وهو إما معنوي كقولك جاء القوم كلهم أجمعون، إما لفظي وهو إعادة اللفظ بعينه. [ راجع: التوقيف علي مهمات التعريف للمناوي، ص ١٥٦، تح: محمد رضوان الداية، ط: دار الفكر المعاصر، بيروت، ط: الأولي ١٤١٠هـ ] .

(٢) التأسيس هو كما عرفه الجرجاني: هو إفادة معني آخر لم يكن حاصلاً من قبل. [راجع: التعريفات للجرجاني، ص ٧٦، ط: عالم الكتب، بيروت، ط: الأولي ١٤٠٧هـ] .

للمبالغة في التأكيد؛ وبهذا قال الفراء[١]، وقد مال لهذا القول ابن قتيبة[٢]، واستظهره أبو حيان الأندلسي[٣]، والطاهر ابن عاشور[٤].

الرأي الثاني: إن العسر مذكور بالألف واللام، وليس هناك معهود سابق، فينصرف إلى الحقيقة، فيكون المراد بالعسر في اللفظين شيئًا واحدًا، وأما اليسر، فإنه مذكور على سبيل التنكير، فكان أحدهما غير الآخر لأنه كما هو معلوم عند النحاة أَنَّهُ إِذَا أُعِيدَ الْمُعَرَّفُ يَكُونُ الثَّانِي عَيْنَ الْأَوَّلِ سَوَاءٌ كَانَ الْمُرَادُ بِهِ الْجِنْسَ أَوِ الْعَهْدَ، بِخِلَافِ الْمُنْكَّرِ إِذَا أُعِيدَ فَإِنَّهُ يُرَادُ بِالثَّانِي فَرْدٌ مُغَايِرٌ لِمَا أُرِيدَ بِالْفَرْدِ الْأَوَّلِ فِي الْغَالِبِ، وهذا القول نحا إليه الزجاج[٥]، ومن السلف: ابن عباس[٦]، وسفيان بن عيينة[٧]، والمتأخرين الخطيب الشربيني[٨]، وجماعة من المفسرين[٩]، وعبارة الخطيب –رحمه الله –: " {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ} [الشرح: ٦] أي: ضيق الصدر والوزر المنقض للظهر وضلال القوم وإيذائهم {يسراً}، أي: كالشرح والوضع لاهتداء والطاعة فلا تيأس من روح الله إذا عراك ما يهمك، فإن مع العسر الذي أنتم فيه يسراً، وقوله تعالى: { إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا } ألم نشرح ٦}استئناف وعد الله تعالى بأن العسر متبوع بيسر آخر كثواب الآخرة، كقولك: للصائم فرحة، ثم فرحة، أي: فرحة عند الإفطار وفرحة عند لقاء الرب " [١٠].

---

(١) راجع: تفسير القرطبي: مج ١٠ج ٢٠/ ١٠٧، والتفسير البسيط للواحدي: ١٢٩/٢٤.
(٢) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة الدينوري، ص ١٥٠ .
(٣) البحر المحيط: ٥٠١/١٠ .
(٤) التحرير والتنوير: ٤١٣/٣٠ .
(٥) معاني القرآن وإعرابه: ٣٤١/٥، تح: الدكتور/ عبد الجليل عبده شلبي، ط: دار الحديث، ط: الأولي ١٤١٤هـ ١٩٩٤م .
(٦) زاد المسير: ٤٦١/٤ .
(٧) فتح الباري لابن حجر: ٧١٢/٨ .
(٨) تفسير السراج المنير للخطيب الشربيني: ٤٠٧/٤ .
(٩) منهم الإمام النسفي والإمام أبوبكر الحداد اليمني. [ راجع: تفسير النسفي: ٣٣٦/٤، ط: الحلبي، وتفسير الحداد: ٢٣٨/٩ ] .
(١٠) تفسير السراج المنير: ٤٠٧/٤ .

القول الثالث: قول الحسين بن يحيى الجرجاني- ويقال لـه: صـاحب النظم- ومعنى الكلام: لا يحزنك ما يُعَيِّرك به المشركون من الفقر { فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا } عاجلاً في الدنيا، فأنجزه بما وعده الله، بما فتح عليـه، ثـم ابتدأ فصلاً آخر فقال: {إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا} والدليل على ابتدائه تَعرِّيه مـن الفاء والواو، وهو وعد لجميع المؤمنين أي أن مع عسر المؤمنين يسـراً في الآخرة، فمعنى قولهم: لن يغلب عسر يسرين: لن يغلب عسـر الـدنيا اليسر الذي وعده الله المؤمنين في الدنيا، واليسر الذي وعدهم في الآخرة، إنما يغلب أحدهما، وهو يسر الدنيا. فأما يسر الآخـرة، فـدائم لا ينقطـع، كقوله – ﷺ –:« شهرا عيد لا ينقصان »[1]، أي: لا يجتمعان في النقص[2]، وانتصر لهذا القول الواحدي[3] .

**الترجيح بين الآراء :**

من خلال ما سبق من أراء وأقوال فان النفس تركن إلي الرأيين الثاني والثالث لأمرين:

الأمر الأول: أن اللفظ إذا دار بين التأكيد والتأسيس فإنه يحمل علـي التأسيس لأن في التأسيس إضافة معني جديد لا يوجد في التأكيد وكلام الله يحمل علي أبلغ الوجوه وأحسنها ولاريب أن الرأيين الثاني والثالث يضافان معني جديداً وإن اختلفا في الخصوص والعموم فالرأي الثاني يقصر اليسـر في قوله: { إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا } علي يسر الأخرة وثوابها للنبـي – ﷺ – والرأي الثالث يعم اليسر بل الآية كلها للمؤمنين[4] وهو الأظهر ليكون وعداً

---

(١) هذا الحديث: " شهرا عيد لا ينقصان رمضان وذو حجة " أخرجه الإمـام البخـاري بسنده إلي أبي بكرة في كتاب: الصوم، باب: شهرا عيد لا ينقصان. راجع: صـحيح البخاري: ٨٧٣/١، ط: الهندية .

(٢) راجع: زاد المسير:٤٦١/٤، والتفسير البسيط للواحدي:١٣٢/٢٤، ١٣٣.

(٣) التفسير البسيط: ١٣٢/٢٤، ١٣٣.

(٤) راجع: حاشية محي الدين زاده علي تفسير البيضاوي للقاضي محمد بن مصلح الدين مصطفي القوجوي: ٨/ ٦٢٩ بتصرف يسير، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنـان، ط: الأولي ١٤١٩هـ ١٩٩٩م، وطالع: قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظريـة تطبيقية للدكتور/ حسين الحربي: ٢/ ٤٧٣ وما بعدها، ط: دار القاسـم، ط: الأولـي ١٤١٧هـ ١٩٦٩م .

عاماً لكل المؤمنين في كل عصر ومصر كما لا يخفي علي كل حاذق أريب[1].

الأمر الثاني: مما يقوي ما اخترناه أن قوله – تعالي –: { إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا } جاء للتأسيس وليس للتأكيد الأثر المروي عن عمر بن الخطاب –ﷺ– أنه كتب إلى أبى عبيدة، وهو محصور أنه مهما تنزل بالمرء شدة يجعل الله بعدها فرجًا، فإنه لن يغلب عسر يسرين[2]. فقوله –ﷺ– يسرين يدل دلالة قاطعة علي أن اليسر الأول مغاير للثاني وليس هو ومؤكداً له ثم القاعدة العربية القائلة: إن النكرة إذا كررت كانت الأولي غير الثانية، والمعرفة إذا كررت كانت الأولي هي الثانية، تؤيد أن قوله – تعالي –: {إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا} جاء للتأسيس وإن رفض الجرجاني تلك القاعدة وزيفها إلا أن الآية لا تأتي علي وزان ما قاله والجمهور من اللغويين والمفسرين ارتضوا هذه القاعدة فقول الجمهور مقدم علي قوله وبقولهم نأخذ والله أعلم[3].

**اللطيفة الثانية: استشكال والجواب عليه:**

رب قائل يقول: كم نري في الدنيا من مؤمن يموت فقيراً معسراً ولا يعقبه ذلك غنى ويسر والله يقول: { فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا } [الشرح: ٥، ٦] أليس هذا تعارضاً ؟

---

(١) انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان للإمام نظام الدين الحسن بن محمد ابن حسين القمي النيسابوري: ٥٢١/٦، تح: الشيخ/ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى ١٤١٦هـ .

(٢) هذا الأثر أخرجه الإمام مالك في الموطأ في كتاب: الجهاد، باب: الترغيب في الجهاد عن عمر – ﷺ –. راجع كتاب: الموطأ: للإمام مالك بن أنس: ٦٣٢/٢، تح: محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، ط: الأولى ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م، وأخرجه الحاكم في المستدرك في كتاب: التفسير وحكم عليه بالصحة ووافقه الذهبي. راجع: مستدرك الحاكم، كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة الشرح مع تعليقات الذهبي في التلخيص: ٥٧٥/٢، تح: مصطفي عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط:الأولى ١٤١١هـ ١٩٩٠م .

(٣) راجع: غرائب التفسير وعجائب التأويل للكرماني: ٢/ ١٣٥٨، ط: دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، وطالع: قواعد الترجيح عند المفسرين: ٢٨٨/١ وما بعدها .

قلت: لا يوجد ثمة تعارض بين هذا القول الآنف وبين الآيتين فالمؤمن وإن فاته يسر الدنيا والغني فيه افلا يفوته يسر الآخرة ونعيمها الدائم بل نعيم الآخرة باق وخالد ونعيم الدنيا ويسرها فانٍ والله بالمؤمن كريم ويختار له الأحسن والأفضل وصدق الله – تعالي – إذ قال في محكم التنزيل : { اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ } [الرعد: ٢٦] .

وهناك جواب آخر هو أن مجي اليسر بعد العسر أمر يأتي على الاستغراق العرفي ولا يمنع من حدوث حالات فردية قليلة أن يأتي عسر لا يعقبه يسر والقلة والشذوذ يؤكدان القاعدة والغالب ولا يعارضهما وإلي هذا أشار الآلوسي(١).

**اللطيفة الثالثة: استنباط قيم من الآية:**

لاشك أن كل امرئ إذا أيقن أن الله ﷻ ما جعل عسراً بلا يسر، ولا مشكلةً بلا حل، ولا هماً بلا مخرج، ولا ضيقاً بلا فرج، فإن هذا يذهب عنه أكثر الهم، ويفتح له باب الأمل ويقوي رجاءه بربه وأن ذاك باب عظيم في ذهاب الحزن والكآبة عن المسلم وخروج من دائرة قتل النفس التي عمت بها البلوى في هذه الأيام عند جماعة معينة من الناس غاب عنهم ذاك العلاج النافع وهذا البيان الشافي من القرآن الكريم فلا ريب أن من فاته هذا المعني من سورة الشرح فلا شرح لصدره وأحاط به الشيطان من كل جانب فاللهم نجنا منه ومن حبائله آمين(٢) .

---

(١) ينظر: روح المعاني: ٣٩١/١٥ بتصرف يسير.

(٢) ينظر: أصول السعادة العشرة في سورة الشرح للدكتور/ عبد المحسن المطيري بتصرف يسير من موقع منتدي الرؤي www.almobshrat.net › المنتديات العامة منهاج المسلم .

## المطلب الثامن

## لطائف قول الله -تعالي -: { فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ }

## [ألم نشرح: ٧]

**اللطيفة الأولي: روعة الإيجاز بالحذف[١] في الآية:**

الإيجاز بالحذف هنا بلاغة لا يعلوها بلاغة وروعة تبرز مراعاة القرآن لمقتضى الحال في نظم آيات السورة فلا ريب أن هذا من أعظم جوانب إعجاز القرآن وبلاغته الرائعة وراجع – رحمك الله – وصف عبد القاهر الجرجاني للحذف وأثره الحميد في الكلام .

فقال: " وإنه باب عجيب الشأن شبيه بالسحر ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة " [٢] .

والجملة المحذوفة في هذ المقام هي جملة الشرط أما قوله – تعالي –: { فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ } [ألم نشرح: ٧] فهي جواب الشرط والتقدير إذا تقرر عند أيها الرسول الكريم ما أنعمنا به عليك من شرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر وتعقب العسر باليسرين فاتعب في العبادة إذا فرغت من التبليغ شكراً لذلك فإن الشكر يربط البعيد ويجلب المزيد[٣].

فانظر – رحمك الله – إلى قيمة الحذف في القرآن الذى سجد لسحر بيانه الأعراب وشهد لحلاوة كلامه صناديد قريش فحدث عن روعة الحذف في القرآن ولا حرج، فالميدان خصب وكعب بلاغته تندق دونه أعناق البلغاء ولا يغيب عن فطنة لبيب أن الحذف جاء في هذا النص القرآني ثقة

---

(١) الإيجاز بالحذف: هو ضرب من أضرب الإيجاز ويعنى عند البلاغيين بحذف مفرد أو جملة يدل عليهما السياق دلالة واضحة في نسق الآية قصداً للإيجاز. وثقة بفهم السامع والقارئ. راجع: أساليب بلاغية للدكتور/ أحمد مطلوب، ص ٢١١، ٢١٢، ط: وكالة المطبوعات الكويتية.

(٢) دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني، ص ١٤٦ .

(٣) راجع: حاشية محي الدين شيخ زاده علي تفسير البيضاوي: ٨ / ٦٢٩، وتفسير جزء عم للشيخ محمد عبده، ص ٨٩ بتصرف يسير.

بفهم القارئ وقصداً للإيجاز الذي هو أم إعجاز القرآن وبلاغته فتأمل أيها اللبيب فإذا لاح لك جمال الإيجاز بالحذف هنا فقل رب زدني علماً .

**اللطيفة الثانية: التأويل المقبول للآية والتأويل المردود لها:**

هذه الآية كانت مثار اختلاف في التفسير ففسرها مفسرون بتفسير وتأويل مقبول وآخر مردود وقبل أن نبين ذلك كان لزاماً علينا أن نوضح معني الفراغ والنَّصب في اللغة فأما الفراغ فهو خلاف الشغل يقال إناء فارغ إذا خلي مما بداخله من الطعام وغيره، والمراد به هنا الخلو من الأعمال التي تشغل الإنسان[1]،وأما النَّصب فهو التعب في تحصيل المطلوب[2]، وبعد هذا البيان لمعني الفراغ والنصب من حيث اللغة نبرز للقارئ الاختلاف الواقع بين أهل التفسير في بيان معني الآية:

١- قال ابن عباس: إذا فرغت من صلاتك فَانْصَبْ إلى ربّك في الدعاء، واسأله حاجتك وارغب إليه.

٢- قال مجاهد: إذا قمت إلى الصلاة فَانْصَبْ في حاجتك إلى ربّك.

٣- قال الضحّاك: إذا فرغت من الصلاة المكتوبة فَانْصَب إلى ربّك في الدعاء، وأنت جالس قبل أن تسلم.

٤- قال الحسن وزيد بن أسلم: إذا فرغت من جهاد عدوك، فَانْصَبْ في عبادة ربّك .

٥- قال ابن مسعود فإذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل.

٦- قال علي بن أبي طلحة: إذا صح بدنك فاجعل صحتك نَصباً في العبادة[3].

---

(١) راجع: مختار الصحاح للجوهري، مادة (ف ر غ)، ص ٢٠٩، ط: مكتبة لبنان عام ١٩٩٣م، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، مادة (ف ر غ)، ص ٦٣٢ بتصرف .

(٢) راجع: مفردات الراغب، مادة (ن ص ب)، ص ٨٠٧، ٨٠٨، ومختار الصحاح، مادة (ن ص ب)، ص ٢٧٥بتصرف يسير .

(٣) راجع: تفسير ابن كثير: ٤٢٩/٨، تح: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: الثانية ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م، وزاد الميسر لابن الجوزي: ٤٦٢/٤ .

**قلت: لا مانع من حمل الآية علي العموم وتشمل الأقوال السالفة من مفسري السلف عدا قول الحسن البصري وزيد بن أسلم؛ لأن السورة مكية باتفاق العلماء كما سبق في صدر هذا البحث والجهاد إنما شرع في المدينة[١]، وممن قال بالعموم من الأئمة: أبو جعفر الطبري[٢] وأبو جعفر النحاس[٣] وأبو بكر الجصاص[٤] والشيخ الشنقيطي[٥]، والعجب كل العجب من الإمام الطيبي في ارتضائه لقول الحسن وزيد بن أسلم معللاً ذلك بحديث: " رجعنا من الجهاد الأصغر إلي الجهاد الأكبر " [٦]، والحديث ضعفه تضعيفاً شديداً أهل الحديث[٧][٨]، وأنكر بعض أهل العلم تسمية جهاد**

---

(١) راجع: نقد العلامة ابن عطية وأبو حيان الأندلسي والعلامة الجمل لتفسير الحسن البصري وزيد بن أسلم. [طالع: المحرر الوجيز: ٥/ ٤٩٧، ط: دار الكتب العلمية، والبحر المحيط: ٥٠١/١٠، ط: دار الفكر، والفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية للعلامة سليمان بن عمر العجيلي الشافعي، الشهير بالجمل: ٥٥٧/٤، ط: دار إحياء الكتب العربية ] .

(٢) تفسير الطبري: ٤٩٦/٢٤ .

(٣) إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس: ٢٥٣/٥، تح: الدكتور/ زهير غازي زاهد، ط: عالم الكتب، ط:الثالثة ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م .

(٤) أحكام القرآن للإمام أبي بكر أحمد محمد بن علي الرازي الجصاص: ٧١٣/٣، ط: المكتبة التجارية .

(٥) راجع: أضواء البيان: ٥٨٠/٨ .

(٦) حاشية الطيبي علي الكشاف (فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب) للإمام شرف الدين بن عبد الله الطيبي: مج ١٦،ج ٣٠، ص ٥٠٢، تح: د/ يوسف عبد الله الجوارنة، ط: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط:الأولي ١٤٣٤هـ ٢٠١٣م .

(٧) هذا الحديث أخرجه البيهقي في الزهد الكبير من طريق عيسي بن إبراهيم عن يحيي بن يعلى عن ليث عن عطاء عن جابر قال قدم على رسول الله – ﷺ – قوم غزاة فقال – ﷺ –: " قدمتم خير مقدم من جهاد الأصغر إلى جهاد الأكبر، قيل: وما جهاد الأكبر، قال: مجاهدة العبد هواه " .[ راجع: الزهد الكبير للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله البيهقي، ص ١٦٥، تح: عامر أحمد حيدر، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت١٩٩٦م ] .

(٨) الحديث ضعيف جداً كما قال الحافظ الزيلعي والحافظ ابن حجر والحافظ المناوي؛ لأن في سنده ثلاثة ضعفاء وهم: عيسي بن إبراهيم، ويحيي بن يعلي، وليث بن أبي سليم، بل ليس من كلام النبي – ﷺ – أصلاً، وهو من كلام إبراهيم ابن أبي عبلة أحد التابعين في الشام قاله النسائي والمناوي وابن تيمية – رحمهم الله – . [ راجع: تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري للإمام الزيلعي: ٣٩٥/٢، تح:

المشركين بالجهاد الأصغر، وهو أفضل الأعمال عند الله وذروة سنام الإسلام[١]، ومن الغريب أيضاً في هذا المقام ما زعمه القاسمي أن رأي زيد ابن أسلم هو الأظهر في تأويل الآية مستدلاً بأن قوله: { فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ} نزل بالمدنية، وأنها من أواخر ما نزل بها[٢] مخالفاً بذلك إجماع العلماء علي مكية السورة ولاريب أن هذا هو مناط رد قول القاسمي في ذاك النسق وأن إجماع المتقدمين والمتأخرين من المفسرين علي أن جميع آيات السورة مكية هو الفيصل في هذا الشأن والله أعلم.

أما التأويل المردود لهذا النص القرآني فهو ما قاله المفسر الشيعي القمي عند قوله – تعالي –: { فَإِذَا فَرَغْتَ } أي: من حجة الوداع { فَانْصَبْ } أمير المؤمنين علي بن أبي طالب[٣] قلت لقد تصدي للرد علي التأويل المردود الإمام الآلوسي فقال: " رد عليه أمر مكية السورة مع ما لا يخفي " [٤].

من التأويل المردود أيضاً أنبعض الرافضة قرأ (فانصب) بكسر الصاد فقيل: أي (فإذا فرغت) من النبوة (فانصب) علياً للإمامة[٥]، قلنا: تلك القراءة شاذة ومردودة ولم تثبت عن عالم ومعناها ضعيف[٦]، ولقد كشف عن بطلان وفساد هذ التأويل الزمخشري إذ قال: " ومن البدع: ما روى عن بعض الرافضة أنه قرأ فانصب بكسر الصاد، أي فانصب عليا للإمامة، ولو

---

عبد الله بن عبد الرحمن السعد، ط: دار ابن خزيمة، الرياض، ط: الأولي ١٤١٤هـ، والفتح السماوي بتخريج أحاديث تفسير البيضاوي للإمام عبد الرؤوف المناوي: ٨٥١/٢، ٨٥٢، ، وسلسلة الأحاديث الموضوعة والضعيفة وأثرها السيء علي الأمة للشيخ الألباني: ٤٧٨/٥ وما بعدها، دار المعارف، الرياض، ط: الأولى١٤١٢هـ ١٩٩٢م ] .

(١) راجع: مجموع الفتاوي لابن تيمية : ١٩٧/١١ .

(٢) محاسن التأويل: ٩ /٤٩٧ .

(٣) تفسير القمي لأبي الحسين علي بن إبراهيم القمي: ٤٢٨/٢، ط: مطبعة النجف ١٣٧٨هـ .

(٤) روح المعاني: ٣٩٢/١٥ .

(٥) تفسير القمي: ٤٢٩/٢ .

(٦) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية: ٤٩٨/٥ .

صح هذا للرافضي لصح الناصبي أن يقرأ هكذا، ويجعله أمراً بالنصب الذي هو بغض علىّ وعداوته " [1]، وفند ذاك التفسير الشيعي أيضاً وقصمه من جذوره العلامة الآلوسي[2] فأبدع وأجاد في هذا المقام.

**اللطيفة الثالثة: أصل تربوي[3] نافع وناجع في الآية:**

لاريب أن ذلك النص القرآني يحمل في طياته أصلاً تربوياً ناجحاً يُحَلُ به مشكلة الفراغ عند الشباب التي أرهقت العالم اليوم وهذا الأصل التربوي وضع أولاً لنبي الإسلام محمد – ﷺ – ليطبقها أمام المسلمين ويطبقونها بعده حتى تعم الراحة في الدنيا والفوز في الآخرة وهي إذا فرغت أيها النبي الكريم من عمل ديني فانصب لعمل دنيوي وإذا فرغت من عمل دنيوي فانصب لعمل ديني أخروي ولنتأمل معاً سبك الآية الكريمة بأسلوب الشرط والجواب يدل دلالة عظمي علي أهمية الأمر وعظم شأنه بالنسبة للنبي – ﷺ –وكذا المسلم أيضاً في كل عصر ومصر فأيها المسلم إذا فرغت من الصلاة فانصب نفسك للذكر والدعاء بعدها، وإذا فرغت من الصلاة والدعاء فانصب نفسك لدنياك، وإذا فرغت من الصيام فانصب نفسك للحج، وإذا فرغت من حاجتك فانصب لحاجة أسرتك وحاجة عشيرتك ومعنى هذا أن المسلم يحيي حياة الجد والتعب فلا يعرف وقتًا للهو واللعب أو للكسل والبطالة أبداًوفي هذا قال ابن مسعود: إني لأكره أن أرى الرجل فارغًا لا في عمل الدنيا ولا في عمل الآخرة[4].

---

(١) الكشاف: ٤ /٧٧٢ .

(٢) روح المعاني: ١٥/٣٩٢ .

(٣) نعني بلفظة التربوي بأنها محاولة يقوم بها الأفراد المختلفون في المجتمع للتأثير في تكوين ونمو النشء والصغار، وذلك باختيار الخبرات التي تنمو بها القيم المطلوبة للفرد وتنظيم هذه الخبرات لتنشئة شخصية سليمة تربوياً . [ راجع: فلسفة التربية في القرآن للدكتور/ أحمد رجب الأسمر، ص ٤٦، ط: دار الفرقان، الأردن ١٤١٧هـ ] .

(٤) أخرج قول سيدنا ابن مسعود الطبراني في المعجم الكبير وأبو نعيم في الحلية من طريق المسيب بن رافع عن ابن مسعود موقوفاً. [ راجع: المعجم الكبير للطبراني: ٩/١٠٢، تح: حمدي عبد المجيد السلفي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط:

فقَوْلِهِ: { فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ } [الشرح: ٧] حَلٌّ لمُشْكِلَةِ الْفَرَاغِ الَّتِي شَغَلَتِ الْعَالَمَ حَيْثُ لَمْ تَتْرُكْ لِلْمُسْلِمِ فَرَاغًا فِي وَقْتِهِ؛ لأَنَّهُ إِمَّا فِي عَمَلٍ لِلدُّنْيَا، وَإِمَّا فِي عَمَلٍ لِلْآخِرَةِ(١). فما أعظم التربية النافعة في كتاب الله بل الإعجاز التربوي في القرآن الكريم !

**اللطيفة الرابعة: إرشاد وتوجيه رائع في الآية:**

ومن جميل إرشاد تلك الآية وعظيم توجيهها أن المسلم لا يقدم علي أي عبادة إلا إذا كان خالي الذهن وفارغ البال من مشاغل الدنيا ومشاكلها كي يكون في عبادته خاشعاً لربه ولا ينتقل من عبادة إلي أخري حتى يتم العبادة التي فيها علي أكمل وجه وأحسن فدلالة قوله: { فَإِذَا فَرَغْتَ } في النص القرآني أفاضت تلك المعاني فالفراغ لا يكون إلا بالخلو التام بعد الامتلاء ولهذا مثلاً لا يقرب المسلم الصلاة وهو يدافع الأخبثين (البول والغائط) كما جاء في الحديث(٢)؛ لأن هذا مما يفوت عليه الخشوع في الصلاة الذي هو مقصودها الأعظم، فو الله لكأن الآية تكشف حال كثير من المسلمين وهو يقبلون علي الصلاة وغيرها وهم مشغلون بالدنيا وشهواتها فليتهم امتثلوا توجيه الآية وسددوا وقاربوا وأقبلوا علي كل العبادات وهم فارغو البال من سائر هموم الدنيا وشهواتها وجعلوا الخشوع في الصلاة

---

الثانية ١٤٠٤هـ ، وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني: ١٣٠/١، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط:الرابعة ١٤٠٥هـ ] .

(١) راجع: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لأبي بكر الجزائري، ص ٥٨٩، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط: الخامسة ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، وأضواء البيان: ٥٧٨/٨ بتصرف، وطالع: علاج مشكلة الفراغ علي موقع الوقت علي النت (الشبكة العنكبوتية) aleman -lidfa-aledman.net .

(٢) الحديث جاء عن السيدة عائشة أم المؤمنين – رضي الله عنها – أنها سَمِعْت رَسُولَ اللَّهِ – ﷺ – يَقُولُ: " لاَ صَلاَةَ بِحَضْرَةِ الطَّعَامِ وَلاَ وَهُوَ يُدَافِعُهُ الأَخْبَثَانِ "، وقد أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عنها في باب: كراهة الصلاة بحضرة الطعام، راجع: صحيح مسلم: ٧٨/٢، الناشر: دار الجيل، بيروت، ودار الأفاق الجديدة، بيروت .

**وغيرها من العبادات هو دأبهم والرغبة فيما عند الله هو الغاية فما أجمل توجيه الآية الكريمة!**[1]

(١) راجع: تفسير ابن كثير: ٤٢٩/٨، وشرح رياض الصالحين للشيخ محمد ابن صالح بن محمد العثيمين: ٥٠٦/٦، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، ١٤٢٦هـ .

## المطلب التاسع والأخير

## اللطائف الواردة في قول الله- تعالي-: {وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ } [ألم نشرح: ٨]

**اللطيفة الأولي: روعة مجيء قول الله:{ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ } [ألم نشرح: ٨] بعد قوله – تعالي – : { فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ } [ألم نشرح: ٧]:**

لاشك أن ما من بليغ أريب تقع عيناه علي أي آيات من سور القرآن الكريم إلا أدرك بحسه روعة الترتيب في تلك الآيات وأن جميع ألفاظها متناسبة لأرحام معانيها، وأكثرها تناسقاً وأفصحها دلالة وأبدعها في التأليف والترتيب علي أعلي درجات البلاغة والبيان ولذا استحال أن يقع في نظم القرآن وتركيبه البديع العجيب ما يسوغ الحكم في لو قدمت آية وأخرت آية لكان أحسن حاشا وكلا بل الحرف الواحد من القرآن معجز في موضعه وكذا الآية منه معجزة في موضعها وكل قد جاء في غاية الإحكام والإتقان تنزيل من حكيم حميد وهذا هو السر في إعجازه الذي فاق شتي أنواع الكلام(١).

وإذا أخذنا مثالاً علي ذلك من خلال دراستنا للطائف تلك السورة لوجدناه في مجيء قول الله: {وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ} بعد قوله: {فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ} ذلك الترتيب فيه من الحسن ما فيه وفيه من الفائدة ما يقر بها كل لبيب ورحم الله الرازي الذي قال: " أَكْثَرَ لَطَائِفِ الْقُرْآنِ مُودَعَةٌ فِي التَّرْتِيبَاتِ وَالرَّوَابِطِ " (٢).

وتأمل معي أيها القارئ تلك الفائدة المودعة في هذا الترتيب البديع حيث ذكر المولي- ﷻ – أولاً توجيهه للنبي بأنه إذا فرغ من عبادة فينبغي أن ينشط ويجتهد لأخرى ثم عقب بالغاية وهي الرغبة في مرضاة الله والطمع في ثوابه وهكذا المسلم في جميع أموره كل هذا من باب التلبس

---

(١) ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للشيخ/ مصطفي صادق الرافعي، ص١٧٧، ١٧٨ بتصرف كبير، ط: دار المنار، ومكتبة فياض، ط: الأولي ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.
(٢) التفسير الكبير للإمام الرازي: ١١٠/١٠ .

بالوسيلة للوصول إلي الغاية في ترتيب عجيب وفريد ومما زاد الأمر روعة تلك الواو الرابطة بين الوسيلة وهو قوله: {فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ} وبين الغاية وهو قوله: {وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ} فما أجمل هذا الترتيب الفريد!

**اللطيفة الثانية: جمال التعريض بالمشركين في قوله –تعالي –: {وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ} [ألم نشرح: ٨]:**

وبيان ذلك يرجع إلي أن الله تعالى قال لنبيه: يا محمد إلي ربك فاجعل رغبتك، دون من سواه من خلقه، إذا كان هؤلاء المشركون من قومك قد جعلوا رغبتهم في حاجاتهم إلى الآلهة والأنداد(١).

والحاصل أن تخصيص الرب بالرغبة من قبل الرسول – ﷺ – أو من غيره من أمته فيه المدح لمن قام بهذا الأمر علي وجهه وفيه الذم تعريضاً لمن خالف فتوجه بالرغبة وطلب النجاة والثواب من غير الله في جميع أموره والله أعلم.

**اللطيفة الثالثة: في تقديم (وإلي ربك) دعوي الاختصاص والإخلاص:**

من المقرر عند أهل العلم أن التقديم مناط الاهتمام والاختصاص(٢)، ومما لا يرتاب فيه بليغ أن قوله: { وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ } [ألم نشرح: ٨] من هذا القبيل قال الطاهر: " وَتَقْدِيمُ إِلَى رَبِّكَ عَلَى فَارْغَبْ لِإِفَادَةِ الِاخْتِصَاص، أَيْ إِلَيْهِ لَا إِلَى غَيْرِهِ تَكُونُ رَغْبَتُكُ فَإِنَّ صِفَةَ الرِّسَالَةِ أَعْظَمُ صِفَاتِ الْخَلْق فَلَا يَلِيقُ بِصَاحِبِهَا أَنْ يَرْغَبَ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى"(٣).

فالرغبة هي طلب الشيء والحرص فيه وإذا قيل رغب عن الشيء اقتضي انصرف عنه، إذا قيل رغب في الشيء وإليه اقتضي الحرص والطلب والإقبال عليه(٤) نعم التقديم هنا لقوله: (إلي ربك) علي قوله:

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢٤/٤٩٣.

(٢) راجع: تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع للخطيب القزويني، ص٦١، تح: عزت زينهم عبد الواحد، ط: مكتبة جزيرة الورد، وموجز البلاغة للعلامة الشيخ الإمام محمد الطاهر بن عاشور، ص ١٩،

(٣) التحرير والتنوير: ١٥/ ٤١٨ .

(٤) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، ص٣٥٨، مادة (ر غ ب)، والتحرير والتنوير: ١٥ /٤١٧، ٤١٨ .

(فارغب) أفاد الحصر والاختصاص الذي يعني التفرغ من شواغل الأرض والتجرد إلى اللَّه وحده، والتطلع إلى الغني به والتوكل عليه والفرار إلي مورد الأنس به فيعبّ ما وسعه من نَهَلٍ وعَبّ وفي تضرعه – ﷺ – بين يدي ربه يمسح كل عناء أصابه أو مشقة أثقلت كاهله، فيخف حِمله ويُرفع عنه إصْره، ويُسرَّى عنه، وينشرح صدره، ويطمئن قلبه ومفاد القول أن التقديم هنا يعني تخصيص الحق سبحانه بالقصد والتوكل والتوجه والتطلع إلى منابع تيسيره وعونه كلما تعسرت مسيرة دعوته – ﷺ –، وكاده الماكرون للانحراف بمنهجه، أو عرقلة خطاه، فالله أرشد رسوله إلي هذا الدواء النافع الناجح الذي يمد العون والنشاط ليتابع مجاهدته في مسيرته الربانية وهو دواء الدعاء والالتجاء اليه وحده لا شريك له المنفرد والمخصوص بهذا لاسيما في الفترة المكية فترة نزول السورة الكريمة التي هي من أصعب الفترات وأشدها علي الرسول –ﷺ– ثم لا يغيب عن فطنة لبيب أن هذا النص يرشد إلي الإخلاص لله في العبادة وفي كل شؤون الدنيا كما قال – تعالي–: { قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } [الأنعام: ١٦٢] فلكل سالك في طريق الدعوة إليه سبحانه يجب عليه إخلاص المقصد والغاية لله تبارك وتعالي ويجعل مبدأ الرغبة لله وما عنده وتأمل سر التعبير بإلي في قوله: {وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ} الدالة علي انتهاء الغاية فنهاية غاية المسلم هو إخلاص العمل لله الغني ثم تأمل حذف مفعول فارغب ليفيد العموم في كل ما يرغبه النبي – ﷺ – من ربه والمؤمنون[1] فالرغبة فيما عند الله هي سمت المسلم والإخلاص له هو منهجه ومسلكه والله أعلم .

**اللطيفة الرابعة: رد علي دعوي زيادة الفاء في قوله تعالي: {فَارْغَبْ}:**

زعم بعض معربي القرآن أن الفاء في قوله– تعالي –: { فَارْغَبْ } زائدة وأعرب قوله – تعالي – الآية هكذا { وَإِلَى رَبِّكَ } جار ومجرور

(١) طالع: التحرير والتنوير: ١٥/٤١٧، ٤١٨ بتصرف .

متعلقان بما بعدهما { فَارْغَبْ } الفاء زائدة وأمر فاعله مستتر والجملة معطوفة على ما قبلها[1].

قلنا: إن دعوي زيادة الفاء مردودة وقد فند ذلك الطاهر بن عاشور فقال: " واعلم أن الفاء في قوله: { فَانصَبْ} [الشرح:٧] وقوله: { فَارْغَبْ} رابطة للفعل لأن تقديم المعمول يتضمن معنى الاشتراط والتقييد فأن تقديم المعمول لما أفاد الاختصاص نشأ منه معنى الاشتراط، وهو كثير في الكلام قال تعالى: { بَلْ اللَّهَ فَاعْبُدْ } [الزمر:٦٦] وقال: { وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ } [المدثر: ٣-٥]، وفي تقديم المجرور قال تعالى : { وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ } [المطففين:٢٦] " [2] .

**اللطيفة الخامسة والأخيرة: تناسب وترابط فريد بين نهاية السورة وأولها:**

لا جرم أن سور القرآن متناسبة ومترابطة تناسب القمر في السماء في ليلة التمام بل أشد تناسباً وأحسن ترابطاً والقارئ لهذه السورة يجد أن أولها متناسق مع آخرها، ولقد أبان عن ذلك التناسب المعجز ابن القيم – رحمه الله – حيث ذكر أن السورة تتعلق بالنبي – ﷺ – فقام – ﷺ – بالتفرغ للعبادة ربه والرغبة إليه وحده لا شريك له فحصل له من شرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر وبدل عسره يسراً فالسورة تدور في وحدة متماسكة الأطراف آخرها آخذ بأولها[3]ويري البقا عي رؤية أخري لتناسب واتصال آخر السورة بأولها بأنه من باب اتصال العلة بالمعلول بمعني يا

---

(١) إعراب القرآن الكريم للأستاذ/ أحمد عبيد الدعاس وأخرين: ٤٥٥/٣، الناشر: دار المنير، ودار الفارابي، دمشق، ط: الأولى ١٤٢٥هـ .

(٢) التحرير والتنوير: ٤١٨/١٥ .

(٣) ينظر: بدائع التفسير الجامع لما فسره الإمام ابن قيم الجوزية: ٣٣٣/٣ بتصرف كبير، تح: يسري السيد محمد، وصالح أحمد الشامي، ط: دار ابن الجوزي، ط: الأولي ١٤٢٧هـ .

**محمد إذا كنا قد شرحنا لك صدرك فانصب الي الله بالعبادة وارغب إليه في كل شأن من شئونك[1].**

**الذي يبدو من خلال كلام الإمامين ابن القيم والبقاعي في تناسب آخر السورة بأولها أن التناسب والترابط قوي وعميق ومتين ومتنوع كاتصال النجوم بالسماء ومن قوة الاتصال ومتنته وتنوعه تعددت الرؤي في أوجه الاتصال فما أجمل السورة في تناسبها وتلاحم نهاية السورة مع أولها ! أنعم بجمال التناسب في سور القرآن كلها ! فحقاً تنزيل من حكيم حميد.**

(١) راجع: نظم الدرر للبقاعي: ١٢٨/٢٢ .

## الخاتمة

## نتائج البحث

لا جرم أن لكل شيء ثماراً ونتائج فأما نتائج هذا البحث فجمة وفيرة ومن أهمها:

١) ظهر لنا من خلال دراستنا لهذا البحث أن سورة الشرح متعددة الأسماء ومتنوعة الفوائد، وهذا يدل علي شرف السورة، وعظم قدرها، وأنها تحمل دلالات البشارة واليسر وتفريج الكرب والمسرة لصاحب الرسالة – ﷺ –، وأن القارئ لها الموقن بفضل ربه والطامع في كرمه وعفوه يحصل له نصيباً من اسمها المبارك، وهو شرح الصدر، وتيسير العسر، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

٢) برز للقارئ أن السورة الكريمة محل نزول آياتها الثمان قاطبة في مكة وأن هذا إجماع المفسرين فما من قول يجنح إلي غير ذلك فهو مردود ولا عبرة به .

٣) ظهر لنا جميعاً أن السورة الكريمة كل ما ورد في فضلها فهو في دائرة الوضع أو الضعف الشديد وليس هناك حديث واحد ينطق بفضلها وأن ما جاء من مزية وفضل للسورة إنما هو من باب الاستبشار والاستنباط وعموم بركات هذا القرآن العظيم .

٤) لاح للقارئ أن التوفيق بين الرأيين في المراد بشرح الصدر من قوله – تعالي –: { أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ } بالشرح الحسي وهو شق صدره – ﷺ – مرتين كما سبق في ثنايا البحث، والشرح المعنوي وهو قول الجمهور وهو الذي يشهد له السياق القرآني وأن القول بالجمع بين القولين أوفق منهجاً وأدق سبيلاً خاصة في مقام الامتنان والتكريم من الله لنبيه – ﷺ – لاسيما أن ثُلةً من المفسرين نهجوا هذا النهج القيم كما وضح في المطلب الثاني من هذ البحث والله أعلم .

٥) أثبت البحث أن ما قيل إنَّ هناك حرفاً أو كلمةً مقحمةً أو زائدةً في السورة الكريمة فمثل هذه الأقوال مردودة ولا عبرة بها بل إن كل

حرف أو كلمة في السورة الكريمة له معني قيم يوجد بوجوده ويزول بزواله وعليك أيها القارئ ألا تقول في أي حرف من حروف القرآن الكريم أو أي كلمة من كلماته عندما يفوتك المعني أنها زائدة بل قل الله أعلم بأسرار كلامه فهذا ما جنح إليه المحققون من أهل العلم والله أعلم .

٦) ظهر لنا جميعاً ظهوراً لا خفاء فيه أن ترتيب آيات السورة الكريمة جاء بدقة منقطعة النظير وشواهد ذلك أكثر من أن تُحصي وتُعد وضح ذلك من خلال ما درسناه في المطلب الخامس من هذا البحث فتأمل.

٧) لاح لنا جميعاً أن بعض ألفاظ وجمل في السورة الكريمة تأتي مجملة وتختلف عبارات المفسرين في تفسير معناها والدقيق في مقام الترجيح الأخذ بعموم الأقوال وعدم إهمال قول منها خاصة إذا كانت غير متعارضة فالقول بالعموم أحسن وأوفق منهجاً كما بان لنا في المطلب الخامس من هذا البحث وغيره فتدبر .

٨) مما لا ريب فيه أن الدراسة الجامعة المتأنية للطائف السورة التي تورد جميع أقاويل أهل التفسير من خلال المسائل واللطائف المنثورة في السورة تكشف للقارئ صحيح الأقاويل وأرجحها وتبرز ردئ الآراء وأوهنها ومثل هذه الدراسات مفيدة لأهل العلم من الدراسين والخطباء والوعاظ في مجال الدعوة والله الموفق .

٩) برز لنا جميعاً من خلال هذا البحث أن التركيز علي إبراز دقائق المعاني التفسيرية وإظهار أسرار الترتيب لآيات السورة والنكات البلاغية وجمال التعبير للسورة وفوائده وإيراد الإشكالات والرد عليها وإبراز النهج التربوي القيم للسورة والحلول القرآنية الناجحة لهذه السورة لظاهرتي الفراغ عند الشباب وظاهرة الانتحار " قتل النفس " التي عمت بها البلوي في هذه الأعوام وغير ذلك مما درسناه من خلال تسع وأربعين لطيفة من لطائف السورة الكريمة في مطالبها التسعة أحسن وأجمل في إظهار وجوه إعجاز القرآن الكريم من دراسة السورة وتفسيرها تفسيراً يتعلق بظاهر اللفظ وبيان المعني الإجمالي

**للآيات فقط؛ لذا ننوه بفضل هذه الدراسة وعظيم أثرها في مجال الدراسات القرآنية فليت القائمين والمهتمين بمجال الدراسات القرآنية يطرقوا هذا النوع من الدراسة ويهتموا بها؛ لأنها دراسة نافعة ومفيدة لكل باحث وقارئ والله أعلم.**

وكتبه الفقير إلي ربه الغني

**د/ محمد عبد المنعم إبراهيم محمد الصبحي**

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد

كلية أصول الدين والدعوة في أسيوط

# المصادر والمراجع

** القرآن الكريم ( جل من أنزله ) .
١. الإبداع البياني في القرآن العظيم للشيخ محمد علي الصابوني، طبعة: المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.
٢. أحكام القرآن للإمام أبي بكر أحمد محمد بن علي الرازي الجصاص، طبعة: المكتبة التجارية.
٣. أحكام القرآن للإمام أبي بكر محمد بن عبدالله، المعروف بابن العربي، تحقيق: عماد زكي البارودي، طبعة: المكتبة التوفيقية، القاهرة.
٤. الاختيار لتعليل المختار للشيخ عبد الله بن محمود بن مودود الموصلي الحنفي، تحقيق: عبد اللطيف محمد عبد الرحمن، دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الثالثة ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م .
٥. أساس البلاغة للزمخشري، طبعة: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولي ١٤٢٦هـ ٢٠٠٦م .
٦. أساليب بلاغية، د/أحمد مطلوب، طبعة وكالة المطبوعات الكويتية.
٧. أسانيد نسخ التفسير والأسانيد المكررة في التفسير جمعاً ودراسةً، تأليف: د/ عطية ابن نوري آل خليفة الفقيه، طبعة: كنوز أشبيليا للطبع والنشر، الطبعة: الأولى ١٤٣١هـ٢٠١٠م.
٨. أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجاني الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة.
٩. أسماء سور القرآن وفضائلها للدكتورة/ منيرة محمد ناصر الدوسري، طبعة: دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولي ١٤٢٦هـ.
١٠. أصول السعادة العشرة في سورة الشرح للدكتور/ عبد المحسن المطيري، من موقع منتدي الرؤي www.almobshrat.net › المنتديات العامة منهاج المسلم .

١١. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشيخ الشنقيطي، طبعة: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
١٢. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للشيخ/ مصطفي صادق الرافعي، طبعة: دار المنار، ومكتبة فياض، الطبعة: الأولي ١٤١٧هـ ١٩٩٧م .
١٣. إعراب القرآن الكريم للأستاذ/أحمد عبيد الدعاس وأخرين، الناشر: دار المنير، ودار الفارابي، دمشق، الطبعة: الأولى ١٤٢٥هـ.
١٤. إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس، تحقيق: الدكتور/ زهير غازي زاهد، الطبعة: عالم الكتب، الطبعة: الثالثة ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م .
١٥. الإكليل في استنباط التنزيل للسيوطي، تحقيق: سيف الدين عبدالقادر الكاتب، دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت١٤٠١هـ ١٩٨١م.
١٦. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لأبي بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
١٧. الإيضاح في علوم البلاغة لجلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق، تحقيق: د/محمد عبدالمنعم خفاجي، الناشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة: الثالثة بدون تاريخ.
١٨. البحر المحيط في التفسير للإمام أبي حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، طبعة: دار الفكر، بيروت ١٤٢٠هـ .
١٩. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد للإمام أبي العباس أحمد ابن محمد ابن عجيبة، تحقيق: عمر أحمد الراوي، طبعة: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٢٠. بدائع التفسير الجامع لما فسره الإمام ابن قيم الجوزية، تحقيق: يسري السيد محمد، وصالح أحمد الشامي، طبعة: دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولي ١٤٢٧هـ .
٢١. بدائع الفوائد للإمام ابن قيم الجوزية، طبعة دار الكتاب العربي.

٢٢. البرهان في علوم القرآن للزركشي، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، طبعة: دار المعرفة، بيروت ١٣٩١هـ.
٢٣. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للإمام مجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، تحقيق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة .
٢٤. بيان إعجاز القرآن مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للإمام أبي سليمان أحمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي، تحقيق: محمد خلف الله، د/ محمد زغلول سلام، الناشر: دار المعارف بمصر، الطبعة: الثالثة ١٩٧٦م .
٢٥. البيان في عدّ آي القرآن للإمام أبي عمرو الداني، تحقيق: غانم قدوري الحمد، الناشر: مركز المخطوطات والتراث، الكويت، الطبعة: الأولى ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.
٢٦. تاج العروس من جواهر القاموس للإمام محمّد بن محمّد ابن عبدالرزّاق الحسيني، أبي الفيض، الملقّب بمرتضى الزبيدي، الناشر: دار الهداية.
٢٧. تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة الدينوري، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٢٨. التجسيم في التعبير القرآني، د/ عقيل الخاقاني، كلية الآداب، جامعة الكوفة، بدون طبعة .
٢٩. التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) للشيخ محمد الطاهر بن محمد بن عاشور، الناشر: الدار التونسية للنشر، تونس١٩٨٤هـ .
٣٠. تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري للإمام الزيلعي، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، طبعة: دار ابن خزيمة، الرياض، الطبعة: الأولي ١٤١٤هـ.

٣١. التعريفات للجرجاني، طبعة: عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الأولي ١٤٠٧هـ .
٣٢. تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) للإمام أبي السعود العمادي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت .
٣٣. التَّفْسِير البَسِيْط للواحدي، الناشر: عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى ١٤٣٠هـ.
٣٤. التفسير البياني للقرآن الكريم للدكتورة/ عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، طبعة: دار المعارف، الطبعة: السابعة بدون تاريخ.
٣٥. تفسير الحداد كشف التنزيل في تحقيق المباحث والتأويل للشيخ/ أبي بكر الحداد اليمني، تحقيق: د/ محمد إبراهيم يحيي، طبعة: دار المدار الإسلامي، الطبعة: الأولي ٢٠٠٣م .
٣٦. تفسير القرآن العظيم لابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، طبعة: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م وطبعة دار إحياء الكتب العربية.
٣٧. تفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه للدكتور/ علي بن سليمان عبيد، طبعة: مكتبة التوبة، الطبعة: الأولي ١٤١٨هـ .
٣٨. تفسير القرآن الكريم جزء عم للشيخ/ محمد بن صالح العثيمين، طبعة: دار الثريا للنشر، الطبعة: الثالثة ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م .
٣٩. تفسير القرآن للإمام أبي المظفر السمعاني، تحقيق: أبي تميم ياسر ابن إبراهيم، وأبي بلال غنيم بن عباس بن غنيم، طبعة: دار الوطن، الطبعة: الأولي ١٤١٨هـ ١٩٩٧م .
٤٠. تفسير القرطبي، للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة: الثانية ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م .
٤١. تفسير القمي لأبي الحسين علي بن إبراهيم القمي، ط: مطبعة النجف ١٣٧٨هـ .

٤٢. التفسير الكبير للإمام الرازي، طبعة: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة ١٤٢٠هـ .
٤٣. تفسير الماوردي (النكت والعيون)، تحقيق: السيد بن عبد المقصود ابن عبد الرحيم، دار النشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .
٤٤. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للدكتور/ وهبة الزحيلي، طبعة: دار الفكر، دمشق، سورية، ودار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان.
٤٥. تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) للإمام أبي البركات عبد الله بن محمود النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، طبعة: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى١٤١٩هـ ١٩٩٨م . وطبعة: الحلبي.
٤٦. التفسير الوسيط للدكتور/ وهبه الزحيلي، طبعة: دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ودار الفكر، دمشق، الطبعة: الثانية ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م .
٤٧. التفسير الوسيط، د/محمد سيد طنطاوي، ط: دار السعادة، القاهرة.
٤٨. تفسير جزء ( عم ) للشيخ/ محمد عبده، بدون طبعة .
٤٩. تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، تأليف: الشيخ/ محمد الأمين بن عبد الله الأرمي الهرري، طبعة: دار طوق النجاة .
٥٠. تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني،طبعة: دار الرشيد بحلب، الطبعة: الأولى ١٤٠٦هـ.
٥١. تلخيص المفتاح في (المعاني، والبيان، والبديع) للخطيب القزويني، تحقيق: عزت زينهم عبد الواحد، طبعة: مكتبة الإيمان بالمنصورة، نشر: مكتبة جزيرة الورد.
٥٢. التوقيف علي مهمات التعريف للمناوي، تحقيق: محمد رضوان الداية،طبعة:دار الفكر المعاصر،بيروت، الطبعة: الأولي١٤١٠هـ.

٥٣. جامع البيان في تأويل القرآن ( تفسير الطبري) للإمام أبي جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م .
٥٤. جامع البيان في تفسير القرآن للإمام محمد بن عبدالله الحسني الحسيني الإيجى الشافعيّ، دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى١٤٢٤هـ.
٥٥. جماليات التعريف والتنكير في الكلمة القرآنية للدكتور/ أسامة عبدالعزيز جاب الله، كلية الآداب، جامعة كفر الشيخ، علي موقع شبكة الفصيح لعلوم اللغة العربية علي الشبكة العنكبوتية(النت).
٥٦. جماليات المفردة القرآنية للأستاذ/ أحمد ياسوف، الناشر: دار المكتبي، دمشق، الطبعة: الثانية ١٤١٩هـ ١٩٩٩م .
٥٧. الجني الداني في حروف المعاني، صنعة: الحسن بن قاسم المرادي، تحقيق: الدكتور/ فخر الدين قباوة، والأستاذ/ محمد نديم فاضل، طبعة: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولي ١٤١٣هـ ١٩٩٢م .
٥٨. جواهر البيان في تناسب سور القرآن لأبي الفضل عبدالله محمد صديق الغماري، طبعة: مكتبة القاهرة، الطبعة: الثانية ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.
٥٩. حاشية الشيخ محي الدين زاده علي تفسير البيضاوي للشيخ محمد ابن مصلح الدين مصطفي القوجوي الحنفي، طبعة: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولي ١٤١٩هـ ١٩٩٩م.
٦٠. حاشية الطيبي علي الكشاف (فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب) للإمام شرف الدين بن عبد الله الطيبي، تحقيق: د/ يوسف عبد الله الجوارنة، طبعة: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة: الأولي ١٤٣٤هـ ٢٠١٣م .
٦١. الحاوي في التفسير للشيخ/ عبد الرحمن القماش، بدون طبعة .

٦٢. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٥هـ .
٦٣. خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني للدكتور/ محمد محمد أبو موسي، الناشر: مكتبة وهبة، الطبعة: الثامنة ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م .
٦٤. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية للدكتور/ عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، طبعة: مكتبة وهبة، الطبعة: الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٢م .
٦٥. الدر المنثور في التفسير بالمأثور للإمام السيوطي، طبعة: دار الفكر، بيروت .
٦٦. دلائل الإعجاز للإمام عبدالقاهر الجرجاني، تعليق: محمود محمد شاكر، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة: الخامسة ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م.
٦٧. دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم للدكتور/ منير محمود المسيري، طبعة: مكتبة وهبة، الطبعة: الأولي ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.
٦٨. ديوان الإسلام للإمام شمس الدين الغزي، تحقيق: سيد كسروي حسن، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى ١٤١١هـ ١٩٩٠م .
٦٩. الذخيرة للإمام شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، تحقيق: محمد حجي، الناشر: دار الغرب، بيروت ١٩٩٤م .
٧٠. رجال تفسير الطبري جرحاً وتعديلاً من تحقيق جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأحمد شاكر ومحمود شاكر، جمع وترتيب: محمد صبحي حسن حلاق، طبعة: دار ابن حزم، الطبعة: الأولي ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

٧١. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للإمام شهاب الدين الآلوسي، طبعة: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولي ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.
٧٢. زاد المسير في علم التفسير للإمام ابن الجوزي، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ.
٧٣. الزهد الكبير للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبدالله البيهقي، تحقيق: عامر أحمد حيدر، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت١٩٩٦م .
٧٤. السراج المنير في الإعانة علي معرفة بعض معاني كتاب ربنا الحكيم الخبير للإمام محمد بن أحمد الشربيني، دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت .
٧٥. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة للشيخ الألباني، دار النشر: دار المعارف، الرياض، السعودية الطبعة: الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.
٧٦. شرح الشفا في شمائل صاحب الاصطفا -ﷺ- للإمام نور الدين القاري، تحقيق: الشيخ / حسانين مخلوف، طبعة: مطبعة المدني، القاهرة .
٧٧. شرح ديوان جرير، تأليف: محمد إسماعيل عبد الله الصاوي، طبعة: مطبعة الصاوي، الطبعة: الأولي، بدون تاريخ .
٧٨. شرح رياض الصالحين للشيخ/محمد بن صالح بن محمد العثيمين، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، ١٤٢٦هـ .
٧٩. الشفا بتعريف حقوق المصطفي - ﷺ - للقاضي عياض، طبعة: الحلبي، الطبعة: الأخيرة ١٣٦٩هـ ١٩٥٠م .
٨٠. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان لابن حبان البستي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الثانية ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.

٨١. صحيح البخاري مع فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، ط: دار الريان للتراث، القاهرة.
٨٢. صحيح البخاري، للإمام البخاري الطبعة: الهندية بدون تاريخ.
٨٣. صحيح مسلم للإمام مسلم تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ودار الجيل، بيروت، ودار الأفاق الجديدة، بيروت .
٨٤. العزف علي أنوار الذكر (معالم الطريق إلي فقه المعني القرآني في سياق السورة) للدكتور/محمود توفيق محمد سعد، طبعة: المؤلف، ط: ١٤٢٤هـ .
٨٥. علاج مشكلة الفراغ علي موقع الوقت علي النت (الشبكة العنكبوتية) aleman -lidfa-aledman.net .
٨٦. علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع) للشيخ/ أحمد مصطفي المراغي، طبعة: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الرابعة ١٤٢٢هـ.
٨٧. غرائب التفسير وعجائب التأويل للكرماني، طبعة: دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت.
٨٨. غرائب القرآن ورغائب الفرقان للإمام نظام الدين الحسن ابن محمد بن حسين القمي النيسابوري، تحقيق: الشيخ/ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٦هـ .
٨٩. فتحُ البيان في مقاصد القرآن لصديق حسن خان، طبعة: المَكتبة العصريَّة ١٤١٢هـ ١٩٩٢م .
٩٠. الفتح السماوي بتخريج أحاديث تفسير البيضاوي للإمام زين الدين عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: أحمد محبتي بن نذير السلفي، طبعة: دار العاصمة، الرياض، الطبعة: أولي ١٤٠٩هـ.
٩١. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام محمد بن علي الشوكاني، طبعة: الدار المصرية، الطبعة: الرابعة ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م .

٩٢. الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية للعلامة سليمان بن عمر العجيلي الشافعي، الشهير بالجمل، طبعة: دار إحياء الكتب العربية .
٩٣. فضائل القرآن وما نزل من القرآن بمكة وما نزل بالمدينة لأبي عبدالله محمد بن أيوب بن الضريس البجلي، تحقيق: عروة بدير، طبعة: دار الفكر، دمشق، سورية، الطبعة: الأولي ١٤٠٨هـ.
٩٤. فلسفة التربية في القرآن للدكتور/ أحمد رجب الأسمر، طبعة: دار الفرقان، الأردن ١٤١٧هـ .
٩٥. فواتح سور القرآن الكريم أنواعها ودلالتها، تأليف: الدكتور/ السيد إسماعيل علي سليمان، طبعة: مكتبة الجامعة الأزهرية الطبعة: الثانية ١٤٣١هـ ٢٠١٠م .
٩٦. قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم للإمام الحسين بن محمد الدمغاني، تحقيق: عبد العزيز سيد الأهل، دار النشر: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: الثالثة١٩٨٠م.
٩٧. قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية للدكتور/ حسين الحربي، طبعة: دار القاسم، الطبعة: الأولي ١٤١٧هـ ١٩٦٩م .
٩٨. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للإمام محمود بن عمر الزمخشري، ط: دار الكتاب العربي١٤٠٦هـ١٩٨٦م.
٩٩. الكشف والبيان عن تفسير القرآن للإمام أبي إسحاق الثعلبي، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م .
١٠٠. لباب التأويل في معاني التنزيل للإمام علي بن محمد إبراهيم الخازن، دار النشر: دار الفكر، بيروت، لبنان ١٣٩٩هـ١٩٧٩م.
١٠١. لباب النقول في أسباب النزول للإمام جلال الدين السيوطي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٠٢.اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الدمشقي، تحقيق: الشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .
١٠٣.لسان العرب للإمام محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، الشهير بابن منظور، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الأولى، بدون تاريخ.
١٠٤.لمسات بيانية لسورتي الانشراح والهمزة، د/ فاضل السامرائي، من موقع منتديات ستار تايمز علي الشبكة العنكبوتية (النت) .
١٠٥.ليدبروا آياته المجموعة الثانية، تأليف: مجموعة من علماء سعوديين، طبعة: دار الحصار للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولي١٤٣٢هـ٢٠١١م .
١٠٦.مباحث في التفسير الموضوعي للدكتور/ مصطفى مسلم، طبعة: دار القلم، الطبعة: الرابعة ١٤٢٦هـ .
١٠٧.مباحث في علوم القرآن للدكتور/ صبحي الصالح، طبعة: دار للعلم للملايين، الطبعة: السابعة عشرة ١٩٨٨م .
١٠٨.مجمل اللغة لابن فارس، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثانية ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م .
١٠٩.مجموع فتاوى ابن تيمية، دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية ١٤١٦هـ١٩٩٥م .
١١٠.محاسن التأويل للإمام جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٨هـ.
١١١.المحتسب في تبيين وجوه القراءات الشاذة والإيضاح عنها لابن جني، تحقيق: علي النجدي ناصف، د/ عبد الفتاح إسماعيل شلبي، ط: المجلس الأعلى لشئون الإسلامية ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.
١١٢.المحرر الوجيزللعلامة ابن عطية، ط: دار الكتب العلمية.

١١٣.مختار الصحاح لأبي بكر الرازي، طبعة: المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، وطبعة: مكتبة لبنان ١٩٩٣م .
١١٤.مستدرك الحاكم، للإمام الحاكم تحقيق: مصطفي عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة:الأولى١٤١١هـ .
١١٥.مسند أبي يعلي الموصلي، تحقيق: حسين سليم أسد، الناشر: دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة: الأولى ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.
١١٦.مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: الشيخ/ شعيب الأرناؤوط، طبعة: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولي ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.
١١٧.مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَرِ للإمام البقاعي، طبعة: مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م.
١١٨.المصباح المنير للفيومي، طبعة: المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، الطبعة: الثانية ١٤١٨هـ ١٩٩٧م .
١١٩.معارج التفكر ودقائق التدبر للشيخ / عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، طبعة: دار القلم، الطبعة: الثانية ١٤٣٣هـ ٢٠١٢م .
١٢٠.معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: الدكتور/ عبد الجليل عبده شلبي، طبعة: دار الحديث، الطبعة: الأولي ١٤١٤هـ ١٩٩٤م .
١٢١.معترك الأقران في إعجاز القرآن للإمام عبد الرحمن ابن أبي بكر جلال الدين السيوطي، دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.
١٢٢.المعجم الكبير للطبراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الطبعة: الثانية١٤٠٤هـ.
١٢٣.المعجم الوسيط، تأليف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الناشر: دار الدعوة.
١٢٤.معجم مصطلحات علم القراءات القرآنية، تأليف: د/ عبد المعلى المسئول، طبعة: دار السلام، الطبعة: الثانية ١٤٣٢هـ ٢٠١١م.
١٢٥.معجم مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق: العلامة عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

١٢٦.مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشـــام الأنصاري، تحقيق: د/ مازن المبارك، طبعة: دار الفكر، بيروت، الطبعة: السادسة ١٩٨٥م.
١٢٧.المغني في الضعفاء للذهبي، بدون طبعة.
١٢٨.مفردات ألفاظ القرآن للعلامة الراغب الأصفهاني، تحقيق: صـــفوان عدنان داوودي، طبعة: دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيـــروت، الطبعة: الثانية ١٤١٨هـــ ١٩٩٧م .
١٢٩.مقال الأستاذ/ماهر محمد بركات، بعنوان: (ووضـــعنا عنـــك وزرك) علي منتدي الأصلين علي الشبكة العنكبوتية(النت) w.aslein. net
١٣٠.مقال د/ فاضل السامرائي، علي موقع شبكة الفصـــيح فـــي اللغـــة العربية علي الشبكة العنكبوتية (النت) .
١٣١.المنار المنيف في الصحيح والضعيف للإمام ابـــن القـــيم الجوزيـــة، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيـــي المعلمـــي، طبعـــة: دار العاصـــمة، الرياض، الطبعة: الأولي ١٤١٦هـــ .
١٣٢.موجز البلاغة للعلامة الشيخ الإمام محمد الطاهر بن عاشور، طبعة: أضواء السلف، الطبعة: الأولي ١٤٢٦هـــ ٢٠٠٥م .
١٣٣.موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور للـــدكتور/ حكمـــت ابن بشير بن ياسين، الناشر: دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة، المدينة النبوية، الطبعة: الأولى١٤٢٠هـــ ١٩٩٩م .
١٣٤.الموضوعات في الأحاديث المرفوعات للإمام ابن الجوزي، تحقيـــق: د/ نور الدين بن شكري بن علي طبعة: أضواء الســـلف، الطبعـــة: الأولى ١٤١٨هـــ ١٩٩٧م .
١٣٥.الموطأ للإمام مالك بن أنس، تحقيق: محمـــد مصـــطفى الأعظمـــي، الناشر: مؤسسة زايد بـــن ســـلطان آل نهيـــان، الطبعـــة: الأولـــى ١٤٢٥هـــ ٢٠٠٤م.
١٣٦.الموقظة في علـــم مصطلـــح الحديث، تأليف: شمس الدين محمد ابن أحمد الذهبي، تحقيق: عبـــد الفتـــاح أبـــو غـــدة، الناشـــر: مكتـــب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة: الأولى ١٤٠٥هـــ .

١٣٧.الميزان في تفسير القرآن لمحمد حسين الطباطبائي، طبعة: منشورات مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت، لبنان.
١٣٨.الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم لابن حزم الأندلسي، تحقيق: د/ عبد الغفار سليمان البنداري، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولي ١٤٠٦هـ .
١٣٩.الناسخ والمنسوخ للإمام هبة الله بن سلامة بن نصر المقري، تحقيق: زهير الشاويش، ومحمد كنعان، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٤هـ.
١٤٠.الناسخ والمنسوخ وتنزيل القرآن بمكة والمدينة لابن شهاب الزهري، تحقيق: د/ حاتم صالح الضامن، الناشر: عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، الطبعة: الأولى ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.
١٤١.النبأ العظيم للعلامة محمد عبد الله دراز، الناشر: دار القلم للنشر والتوزيع١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م .
١٤٢.نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام إبراهيم بن عمر البقاعي، طبعة: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة وطبعة دار صادر الطبعة. الأولي ١٤٢٢ه/٢٠٠١م .
١٤٣.النكت والعيون للماوردي، تحقيق: السيد بن عبد المقصود ابن عبد الرحيم، طبعة: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
١٤٤.النهاية في غريب الحديث والأثر للإمام أبي السعادات المبارك ابن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.
١٤٥.هداية المستنير بتخريج أحاديث تفسير ابن كثير للشيخ/ أبي عبد الرحمن عادل بن يوسف العزازي، طبعة: المكتبة الإسلامية، الطبعة: الأولي ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.
١٤٦.الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه للإمام محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي، الناشر:

مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م .

١٤٧.الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، طبعة: دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت، الطبعة: الأولي ١٤١٥هـ ١٩٩٥م .

١٤٨.الوسيط في تفسير القرآن المجيد للإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: الشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، طبعة: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.